التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 162 السنة التاسعة عشر - مايو 2021

الأول من مايو

ذاكرة حيّة ونضال متجدد

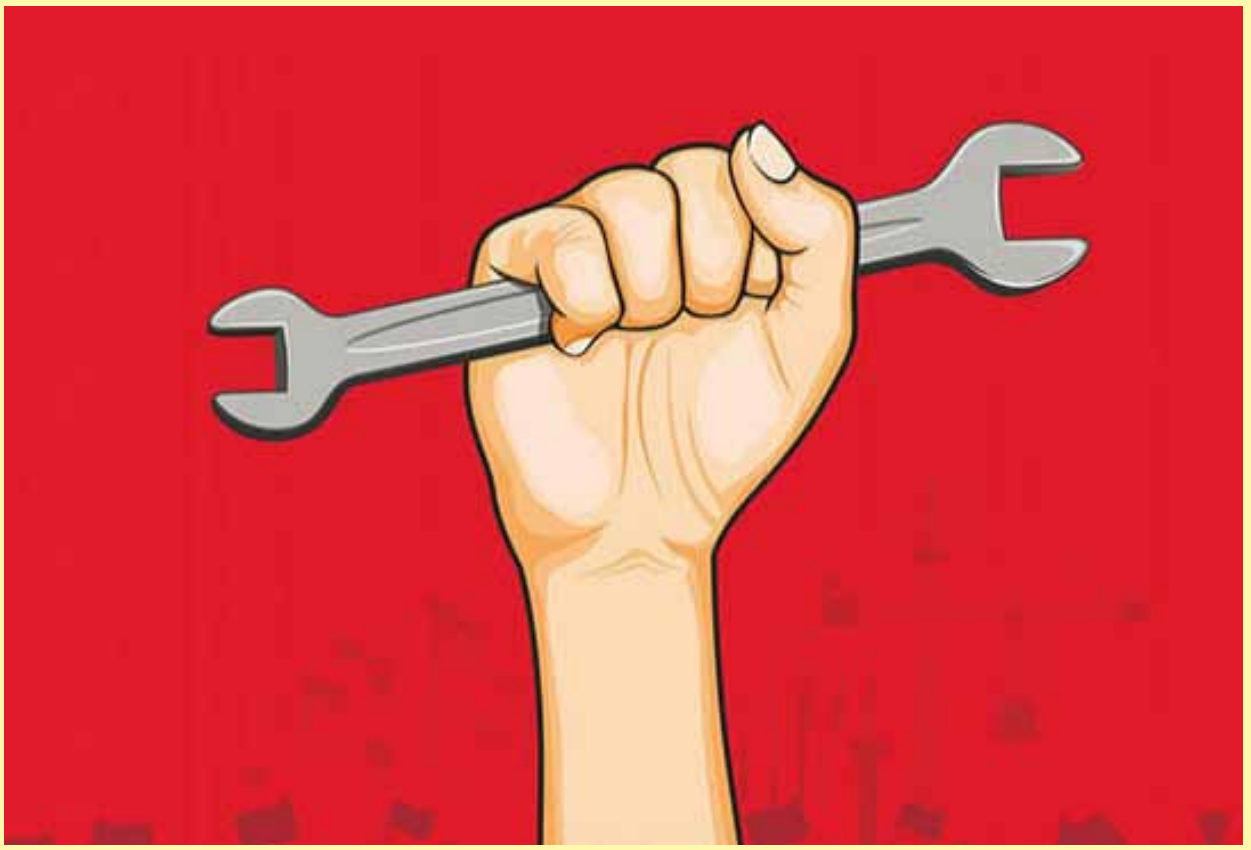

تقييد المناقشة العامة.. لماذا؟ 11

إيران في بؤرة استراتيجيات القوى العظمى 16-17

قصص «نساء» فوزية مطر 24-25

موقفنا

الممتنعون» و«المتغيبون»

على كثرة الكلام الذي قيل عن القيود الكثيرة المفروضة على مجلس النواب المنتخب، خاصة من خلال أحكام اللائحة الداخلية للمجلس، فإن الحكومة أظهرت، خاصة خلال السنوات الأخيرة، ضيقها حتى من الحيز المحدود المتاح للمجلس كي يقوم بدوره الرقابي على أداءها، ومارست ما تستطيع من ضغوط لتمرير «تعديلات» على هذه اللائحة لفرض المزيد من القيود على أداء المجلس، والحدّ من فعالية الأدوات الرقابية المتاحة له.

وبعد أن بات استجواب الوزراء في حكم المتعذرداخل المجلس، كما أوضح عضو كتلة «تقدّم» النائب الأول لرئيس المجلس عبدالنبي سلمان في مداخلة أخيرة له، لجأ النواب المخلصون إلى أداة المناقشة العامة، لمناقشة السياسات الحكومية وأداء الوزرات المختلفة، وهي مناقشات لا تصل، بطبيعتها، حدّ إدانة الوزير المعني، ورغم ذلك ضاقت الحكومة ذرعاً بالنقد الذي وجه لبعض أعضاءها وكبار المسؤولين فيها، على ما وجده النواب، وإلى جانبهم ناخبيهم، من أوجه قصور في أداء هؤلاء.

ولم يطل الوقت حتى اقترحت تعديلات على اللائحة الداخلية تفرغ أداة المناقشة العامة من محتواها الفعلي، و«نجحت» في تمريرها عبر المجلس نفسه المعني بمحاسبة الحكومة والرقابة على أداءها حسب الدستور وميثاق العمل الوطني، فكان لها ما أرادت، وتمّ ذلك في مشهد هزلي بالفعل.

إذا استثنينا الموقف المشرف لاثني عشر نائباً، في مقدمتهم رفاقنا في «تقدّم» الذين رفضوا تلك «التعديلات» بوضوح وحزم، فإن المتبقين من أعضاء المجلس، أي ثمانية وعشرين نائباً من مجموع الأربعين عضوا الذين يتكون منهم المجلس، «تفننوا» في أساليب تمكين تعديلات الحكومة من المرور.

بعضهم لم يجد حرجاً في حضور الجلسة التي ناقشت الموضوع والتصويت بنعم كبيرة (!) مع مرور المرسوم بقانون بشأن التعديل المقترح، فيما وجد آخرون من الحاضرين ضالتهم في بدعة «الامتناع عن التصويت»، أما البقية فإما أنهم تغيبوا متعمدين عن حضور الجلسة، فيما اختار بعضهم اغلاق الميكرفون لحظة التصويت، والنتيجة جاءت كما هو مخطط لها: «لم يرفض المرسوم العدد اللازم من الأصوات لعدم تمريره، اي 21 صوتاً».

يتوهم «الممتنعون» و«المتغيبون» إن حسبوا أنفسهم يختلفون في شيء عمن صوتوا بنعم لتمرير المرسوم، وأن هروبهم بهذه الطريقة عن الإفصاح عن موقف واضح تجعلهم مختلفين عنهم، وجلّ ما فعلوه أنهم وضعوا شخوصهم في محل السخرية من الناس، لأنهم، في النهاية، شركاء في التطاول على حق نيابي كفله الدستور، أثبتوا أنهم ليسوا أهلاً لممارسته.

التقدمي

رحبّ بالإفراجات واعتبرها خطوات تعزز الثقة ومدّ الجسور

التقدمي: على أصحاب القرار تذليل معوقات تقدّم مسيرتنا الوطنية

رحبّ التقدمي بالإفراجات التي تمت خلال الفترة الماضية، معتبراً إياها خطوات محمودة من جلالة الملك بالعفو عن مجموعة من المعتقلين المحكومين مما أشاع البهجة والفرح في مستهل هذا الشهر الفضيل، خاصة في أوساط المحكومين وأسرهم التي عاد أبناؤها إلى أحضانها.

ودعا التقدمي في بيان له إلى: «المزيد من الخطوات التي من شأنها تعزيز الاستقرار والأمن واعادة بناء الثقة ومدّ الجسور بين كل الأطراف المعنية بالانطلاق لمرحلة جديدة نحن في أمس الحاجة اليها في ظل المستجدات والتحديات والتي في طليعتها جائحة كورونا التي فتكت بالعشرات من أبناء البحرين وألقت بظلال ثقيلة على أوضاع المئات منهم وفرص أعمالهم".

كما دعا التقدمي "أصحاب القرار وكافة مكونات المجتمع المدني ومؤسساته لتذليل كل المعوقات وتحقيق الغاية التي نسعى اليها جميعاً بالتوافق وبالشكل الذي يفتح آفاقاً واسعة في مسيرتنا الوطنية حاضراً ومستقبلاً».

وشدد التقدمي على أن "الإنطلاق نحو فضاءات أرحب لا تضم السجون أو المعتقلات فيها من هم على ذمة قضايا حرية الرأي والتعبير، وليس من أبناء البحرين مهجرين أو قلقين من عودتهم الى الوطن، انطلاقة تعزز حراك الجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني، ومحاربة الفساد»، معتبراً إياها «القاعدة التي يبنى عليها اي إنجاز وطني حقيقي يعنى بترسيخ مفهوم الدولة الحديثة، ويحاسب الفاسدين ومنتهكي القانون ويتصدى للرشوة والمحسوبية، ويقف بحزم في وجه العنصرية والتفرقة والمفاهيم الطائفية والمذهبية البالية، وكل من يسعى الى الفتن وشق الصف بين أبناء البحرين».

وأكدّ التقدمي على: «تكريس تكاتف أبناء البحرين أفراداً ومؤسسات مدنية ورسمية ورجالات الدولة المخلصين في العمل معاً من اجل إرساء ملامح الانطلاقة المنشودة التي نرسي من خلالها مبادئ العمل الوطني في المرحلة المقبلة»، منوهاً بأن: «من أهم عناوين الانطلاقة المنشودة مجلس برلماني واسع الصلاحيات قادر على ان يستشعر حاجة الناس ويعكس همومهم وما يتطلعون اليه من حياة أفضل، وقادر على مساءلة ومحاسبة الفاسدين».

«التقدمي» و«القومي» و«الوحدوي» في بيان مشترك

دعوة لحلحلة الأزمة السياسية والتوسع في العقوبات البديلة

دعت جمعيات (التقدمي، القومي، والوحدوي) السلطات للاستجابة السريعة للدعوات الشعبية والإنسانية والحقوقية التي تنادي بإطلاق سراح العديد من السجناء السياسيين وغيرهم من السجناء، والتوسع في العقوبات البديلة وذلك من أجل الحفاظ على أرواحهم، على ضوء تزايد حالات الإصابة بفيروس كورونا المتحور خلال الأسابيع الماضية وبصورة غير طبيعية ووصول الإصابات إلى مباني السجن.

كما حثت الجمعيات الثلاث الحكومة على الشفافية بصورة أكبر في الإعلان عن حالة السجناء وأعداد الإصابات نظرا للقلق الكبير الذي ينتاب أهالي السجناء تجاه الحالة الصحية لأبنائهم.

وأكدت الجمعيات الثلاث على الحاجة الملحة لإضفاء المزيد من التضامن والوحدة بين أبناء الشعب وتكاتفه ودعمه لكافة تلك الإجراءات، والوقوف صفاً واحداً لتجاوز المحنة الراهنة، مشددين على المبادرة إلى مواصلة الخطوات الإنفراجية وإطلاق سراح السجناء من معتقلي الرأي لدواعي الظروف الراهنة، وهي الإجراءات التي قامت بها دول كثيرة في العالم، ولتضفي المزيد من البهجة والتكاتف الوطني في المجتمع، خاصة مع حلول شهر رمضان المبارك، وتسهم في حلحلة الملف الحقوقي للبحرين وطي صفحة التداعيات السياسية والأمنية الخطيرة التي مرت بها البلاد خلال السنوات الماضية.

وكذلك جددت الجمعيات إشادتها بكل الإجراءات التي اتخذتها الدولة للتصدي لتفشي وباء كورونا، والجهود الوطنية العالية التي تبذلها كافة الكوادر المعنية وخاصة الكوادر الطبية والصحية، وتحيي بكل اعتزاز الروح الوطنية الجامعة لكافة فئات المجتمع في الالتفاف حول تلك الإجراءات ودعمها، وروح التضامن الاجتماعي التي تجلت في الكثير من الصور والمواقف الرائعة والمبدعة والمسؤولة.

استنكرت تقليص صلاحيات المجلس المنتخب

جمعيات سياسية : أغلبية النواب يتنازلون طوعاً عن صلاحياتهم

استنكرت ٧ جمعيات سياسية تقليص صلاحية النواب بذريعة ضبط المناقشات العامة في الجلسات البرلمانية، والتي بموجبها تم (منع توجيه النقد أو اللوم أو الاتهام، وأي أقوال تتضمن ما يخالف الدستور والقانون أو تشكل مساساً بكرامة الأشخاص أو الهيئات أو إضراراً بالمصلحة العليا للبلاد، وتحديد ١٠ نواب كحد أقصى للمشاركة في المناقشة العامة مع تحديد ٥ دقائق للنائب الواحد).

واعتبرت جمعيات (التقدمي، القومي، المنبر الإسلامي، الصف الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، الوسط العربي الإسلامي والتجمع الوطني الدستوري) في بيان مشترك لها بأن تقييد أداة المناقشة العامة يستهدف القضاء على ما تبقى من صلاحيات للمجلس النيابي بطريقة تحول دون العمل البرلماني الذي يلبي طموحات شعب البحرين، وأن هذه المحاولات مستمرة للإبقاء على هذا العمل في حال من المراوحة وجعل البرلمان فاقداً للصلاحيات التي لابد أن يتمتع بها أي مجلس برلماني خاصة فيما يخص دوره في الرقابة والمساءلة والنقد».

واستغرب البيان أن: «يتم تقليص صلاحيات المجلس على أيدي مجموعة من النواب ومنهم الذين وافقوا أو امتنعوا عن التصويت على المرسوم بقانون رقم (26) لسنة 2020 بتعديل المادة (173) من اللائحة الداخلية للمجلس، وقد تمّ تمرير التعديل بطريقة تفضح هزالة أداء المجلس وتخبط مواقفه إزاء مسألة النهوض بواقع التجربة البرلمانية وكذلك القضايا المصيرية التي تواجه معيشة المواطن وتعاني منها البلاد»، مستهجناً: "اللامسؤولية التي يبديها غالبية النواب في ممارسة مهامهم وتخليهم طواعية عنها، فاسحين المجال أمام تراجع الحياة البرلمانية وتراخيها وتهميش دورها في حماية الوطن والمواطنين».

وأكدّ البيان على أن: «تقليص صلاحيات المجلس النيابي لن تكون الأخيرة في ظل سيطرة الحكومة على أغلبية أعضاء مجلس النواب الذين يتنازلون طوعاً عن صلاحياتهم بدلاً من حرصهم على تكريس وتطوير التقاليد الديمقراطية التي وعد بها ميثاق العمل الوطني لكي يُرتقى بأداء البرلمان إلى مستوى الطموحات الشعبية».

وشددت الجمعيات السياسية على: «الحاجة الملحة والضرورية للارتقاء بأداء البرلمان وتوسيع صلاحياته التشريعية والرقابية لكي يواكب تطلعات المواطنين ورفع مستوى حياتهم المعيشية وحمايتهم من تغّول السياسات النيوليبرالية التي طالت أرزاقهم ومعيشتهم خاصة عبر تآكل أشكال الدعم الاجتماعي وفي محاربة تجارتهم، والتضييق على فرص العمل المتاحة أمامهم، وفتح أبواب المنافسة غير الشريفة والعادلة بذريعة حرية السوق وجذب المستثمرين».

فضفضة

كبوة المستقلين

عيسى الدرازي

إدانة سبع جمعيات سياسية تقليص صلاحيات المجلس النيابي، على اختلاف مرجعياتها الفكرية وتبايناتها السياسية، تعطي إشارة واضحة حول مدى اتساع الهوة بين ما يذهب إليه المجلس وبين ما يرنو إليه الساسة ومعهم الرأي العام من المجلس وأعضاءه، إلا أنه يمكن للمجلس الحالي استيعاب ما تمّ قضمه من هامش صلاحيات المجلس كون عمر الفصل التشريعي الحالي أزف وقته.

الغريب في المجلس الحالي، انه في بداياته تعالت أصوات غالبية أعضاءه بلوم الأعضاء السابقين،من أنهم مرروا تعديلات تنال من صلاحيات المجلس وأدواته الرقابية والتشريعية، حيث تمّ في العام 2014 الموافقة على إضافة "تعديل" على أداة الاستجواب حيث اشترط التعديل موافقة ثلثي أعضاء المجلس على الاستجواب بدلاً من غالبية الأعضاء، وفي هذا تشديد غير مبرر وتحصين لمساءلة الوزراء برلمانياً وتأمينهم عن منصة الاستجوابات، وهو توجه جانب الحصافة، والأجدى تمكين المجلس النيابي من استخدام مثل هذه الأدوات الرقابية الفاعلة، ومع تزايد توجيه أعضاء المجلس الحالي لملاحظات وتصريحات تشي بضرورة إعادة وضع أداة الاستجواب كما كانت عليه قبل تعديلها، كانت الكبوة في إقرار تعديل جديد على اللائحة الداخلية ينال من أداة السؤال البرلماني ويحدّ منه.

مرّت على عمر المجلس منذ 2002، أربعة تعديلات على اللائحة الداخلية والخامس هو ما تمّ اقراره مؤخراً بشأن "منع توجيه النقد أو اللوم أو الاتهام، وأي أقوال تتضمن ما يخالف الدستور والقانون أو تشكل مساساً بكرامة الأشخاص أو الهيئات أو إضراراً بالمصلحة العليا للبلاد، وتحديد 10 نواب كحد أقصى للمشاركة في المناقشة العامة مع تحديد 5 دقائق لحديث النائب الواحد".

تعديل اللائحة الداخلية للمجلس نحو الأفضل يحتم وجود غالبية من غير المستقلين من الأعضاء الذين تتفاوت مآربهم ومقاصدهم من العمل التشريعي، فلم يجن الشارع من مجلس المستقلين إلا إبطاء العجلة البرلمانية، ولا بد من إعادة الثقة للسلطة التشريعية والعملية الديمقراطية ككل.

أدبيا لا يصحّ للحكومة أن تقترح تعديل شأن برلماني خالص، خصوصا إذا كان ينتقص من العملية البرلمانية في الوقت الذي كان من الأجدى دعم التجربة واثرائها وتعزيز تلكم المفاهيم وصولاً لصورة ناصعة من الديمقراطية البرلمانية التي تستحق ثقة الناس.

8 جمعيات سياسية تدين الاعتداءات الصهيونية ضد أبناء القدس

أدانت الجمعيات السياسية في البحرين الاجراءات القمعية والوحشية التي تقوم بها قوات الاحتلال الصهيوني ضد أبناء الشعب الفلسطيني ومقدساته في مدينة القدس الشريف المحتلة.

وقالت جمعيات (التقدمي، القومي الديمقراطي، المنبر الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، الوحدوي، الصف الإسلامي، التجمع الوطني، والوسط العربي الإسلامي) بأن: "هذه الإجراءات التي تأتي وسط صمت عربي ودولي مرفوض ومدان تهدف إلى فرض المزيد من اجراءات التهويد في المدينة المقدسة من خلال التشديد على دخول المصلين من محافظات فلسطين للصلاة في المسجد الأقصى بهدف عزل المدينة عن باقي مدن الوطن، مع قيام قوات الاحتلال وقطعان المستوطنين الصهاينة بالاعتداء على المصلين في المسجد الاقصى المبارك مما أدى إلى إصابة المئات بجروح مختلفة جراء استخدام قوات الاحتلال الهراوات والقنابل المسيلة، كما سمحت لهؤلاء المستوطنين المسلحين، وبحماية من الجيش والشرطة، باستباحة باحات المسجد الأقصى المبارك بشكل يومي والاعتداء على المصلين".

وطالبت الجمعيات المذكورة "المجتمع الدولي بالوقوف بحزم عند مسؤولياته تجاه ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من اعتداءات وانتهاكات يومية من قبل الاحتلال ومستوطنيه وخاصة مدينة القدس المحتلة وذلك بتوفير الحماية الدولية للشعب الفلسطيني ومقدساته"، كما دعت الشعب البحريني بكل أطيافه "لتصعيد تضامنه مع الشعب الفلسطيني من خلال رفض كافة أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني"

ودعا البيان إلى: "اتخاذ المواقف المدافعة عن القدس والمسجد الأقصى، وإلغاء كافة أشكال التطبيع الرسمي مع الكيان الصهيوني الغاصب".

في ملتقى «التقدمي» الأسبوعي

عبيدلي عبيدلي يقدّم كتاب «نظام التفاهة» لالآن دونو

توقف الباحث والخبير في المعلوماتية عبيدلي عبيدلي أمام قول الفيلسوف الكندي الآن دونو: «إن التافهين قد حسموا المعركة، من دون اجتياح الباستيل (إشارة إلى الثورة الفرنسية) ولا حريق الرايخستاغ (إشارة إلى صعود هتلر في ألمانيا) ولا رصاصة واحدة من معركة الفجر (إشارة إلى المعركة الأسطورية بين بونتا وبراكمار)، فقد ربح التافهون الحرب فعلاً وسيطروا على عالمنا وباتوا يحكمونه».

جاء ذلك في الندوة التي أقامها ملتقى التقدمي بتاريخ 4 إبريل الماضي، وقدّم فيها الأستاذ عبيدلي قراءة في كتاب «نظام التفاهة» الذي وضعه الآن دونو، وترجمته الأكاديمية الكويتية د. مشاعل عبدالعزيز الهاجري، التي اختارت أن تقدّم الكتاب بالعربية تحت هذا العنوان، الذي يتناول هيمنة متوسطي الموهبة على الثقافة ووسائل الإعلام ومفاصل الحياة عامة، معطياً امثلة بمن وصلوا إلى سدة الحكم في بلدان مهمة مثل مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا الأسبق، والرئيس الامريكي ريغان الذي عاصرها في بدأية ثمانينيات القرن الماضي. «ولدت جذور حكم التفاهة مع عهد مارغريت تاتشر»، برأي الكاتب. فيومها جاء التكنوقراط إلى الحكم.

استبدلوا السياسة بمفهوم «الحوكمة»، واستبدلوا الإرادة الشعبية بمفهوم «المقبولية المجتمعية»، والمواطن بمقولة «الشريك». وفي النهاية صار الشأن العام تقنية «إدارة»، لا منظومة قيم ومثل ومبادئ ومفاهيم عليا، وصارت الدولة مجرد شركة خاصة، وصارت المصلحة العامة مفهوماً مغلوطاً لمجموع المصالح الخاصة للأفراد. وصار السياسي تلك الصورة السخيفة لمجرد الناشط اللوبي لمصلحة «زمرته»، ومن هذين المنطلقين، جرى تنميط العمل وتسليعه وتشييئه، وتفريغ السياسة والشأن العام من محتواهما.

استعرض المحاضر في الأمسية التي أدارتها الرفيقة منار السمّاك محاور الكتاب الرئيسية، مركزاً على تأثيرات الفئات المتوسطة على الكفاءة في السياسة، الثقافة ، التعليم ، التجارة ، الإعلام، مقدماً شرحاً وافياً لكل منها.

المحامي حسن إسماعيل في ملتقى التقدمي الأسبوعي:

انضمام البحرين لـ «سيداو» سيظل ناقصاً ما لم ترفع تحفظاتها عن أهم مواد الاتفاقية

قال المحامي حسن إسماعيل إن انضمام البحرين لاتفاقية السيداو يعدّ حدثاً مهماً، كونه يأتي في إطار اعتراف مملكة البحرين بأهمية ما جاء في الاتفاقيات الدولية بشأن حقوق المرأة، غير هذا الانضمام سيظل ناقصاً في ظل تحفظ مملكة البحرين على أهم المواد التي تشكل روح وجوهر الاتفاقية، والتي طالبت لجنة السيداو البحرين بضرورة رفعها.

وأشار إسماعيل إلى القيمة القانونية الملزمة للاتفاقيات والمعاهدات الدولية في النظام القانوني في مملكة البحرين بأن دستور مملكة البحرين جعل من المعاهدات في مرتبة تعادل القانون، وتصبح من ضمن التشريعات الوطنية بعد إبرامها والتصديق عليها ونشرها في الجريدة الرسمية، طبقاً للأوضاع التي نصت عليها المادة (37) من الدستور، مستشهدا بقرار المحكمة الدستورية في الإحالة الملكية بعدم دستورية المادة (20) من مشروع قانون المرور التي استندت في قرارها على عدة أسانيد قانونية من بينها مخالفة المادة (26) من العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، وحكم المحكمة الكبرى الإدارية بإشهار الاتحاد النسائي البحريني وقد ركنت المحكمة في أسباب هذا الحكم الهام في أول سابقة للقضاء البحريني على اتفاقية السيداو.

جاء ذلك في الندوة التي نظمها قطاع المرأة بالتقدمي مساء الأحد 11 إبريل الماضي، بعنوان: «المرأة في الإتفاقيات الدولية»، التي أكدّ فيها على أن انضمام الدول لاي معاهدة دولية يتعين أن تصبح قانوناً ملزماً لجميع أجهزة الدولة، وأنه عند تعارض أحكام المعاهدة الدولية مع التشريعات الداخلية فإن الأولوية في التطبيق تكون للأحكام التي تنص عليها المعاهدة فلا يجوز إصدار قانون يتعارض برمته مع الالتزامات المقررة على أطراف المعاهدة ولا يجوز اصدار قانون يتضمن تعديلا أو إلغاء لأحكام تلك المعاهدة، فالمعاهدات الدولية لها قوتها الملزمة لأطرافها ويتوجب على الدول احترامها طالما ظلت قائمة ونافذة.

وتطرق المحامي إسماعيل إلى أهم الاتفاقيات والمعاهدات الدولية المتعلقة بحقوق المرأة مبينا أن ميثاق الأمم المتحدة الذي اعتُمِد في العام 1945 يُعتبَر أول معاهدة دولية تشير، في عبارات محددة، إلى تساوي الرجال والنساء في الحقوق ، وأن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948 شكّل محطة مهمة في تاريخ حقوق النساء إذ اعترف بشكل واضح وصريح بالمساواة وبالحقوق المتساوية بين الجنسين، وقد شجّع الإعلان على صدور اتفاقيات تتعلق بالنساء فصدرت ثلاث اتفاقيات على التوالي خاصة بالنساء هي: الاتفاقية المتعلقة بشأن الحقوق السياسية للمرأة 1952 التي تعترف للنساء بحق التصويت والترشّح في جميع الانتخابات والهيئات المنتخبة وبتقلّد المناصب العامة وممارسة جميع الوظائف العامة بشرط التساوي بينهنّ وبين الرجال دون أي تمييز، والاتفاقية المتعلقة بشأن جنسية المرأة المتزوجة 1957والتي تنص على انه لا يمكن تغيير جنسية المرأة تلقائيا بإبرام عقد الزواج أو بإنهاء الزواج أو بتغيير جنسية الزوج أثناء الزواج. والاتفاقية الخاصة بالرضا على الزواج والحد الأدنى لسن الزواج وتسجيل عقود الزواج 1969.

وأشار إسماعيل إلى أنه على الرغم من أهمية هذه الاتفاقيات الثلاث الا أنه ساد بعدها توجه في التشريع الدولي يقوم على أن أفضل أسلوب لحماية حقوق النساء هو إتباع المبدأ العام بعدم التمييز، وقد أظهرت معظم الاتفاقيات الدولية اللاحقة على الاتفاقيات الثلاث هذا التوجّه فأصدرت واعتمدت الأمم المتحدة العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية 1966، فنص في مادته الثالثة على (تعهد الدول الأطراف في هذا العهد بضمان مساواة الذكور والإناث في حق التمتع بجميع الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المنصوص عليها في هذا العهد). كما اعتمدت العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية فنص في مادته الثالثة على (تتعهد الدول الأطراف في هذا العهد بكفالة تساوى الرجال والنساء في حق التمتع بجميع الحقوق المدنية والسياسية المنصوص عليها في هذا العهد).

وعن أهمية اتفاقية "سيداو" أوضح إسماعيل أنه بالرغم أن الاتفاقيات والعهود والاعلانات السابق الإشارة إليها قد اعترفت بشكل واضح وصريح وعلني بالمساواة بين الرجال والنساء، الى أن مفهوم المساواة في ظل التفاوت الكبير بين أوضاع الرجال والنساء سيكرّس التمييز ضد النساء بدلاً من القضاء عليه، لذلك فإن الحركة النسائية على صعيد العالم ومن ضمنها اللجنة المعنية بمركز المرأة التابعة للأمم المتحدة، طالبت ونادت بإلغاء جميع أشكال التمييز ضد النساء. وبدأ البحث عن اتفاقية دولية للمرأة التي شكل إعلان القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة الصادر من الأمم المتحدة في 7 نوفمبر عام 1967، ونعني بها اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) عام 1979، وهي تعد أهم اتفاقية دولية تكفل للمرأة حقوقها، إذ تؤكد أن مجرد التسليم بإنسانية المرأة لم يعد كافيا لضمان حماية حقوقها حسب المعايير الدولية السابقة وآليات حقوق الإنسان، وهي تجمع في اتفاقية شاملة جميع التعهدات التي أقرتها مواثيق الأمم المتحدة في مضمار التمييز القائم على أساس الجنس معلنة بذلك ميلاد أداة حقيقة للقضاء على التمييز ضد المرأة.

بمناسبة عيد العمال العالمي ٢٠٢١

التقدمي: نرفض المساس بحقوق العمال والمتقاعدين.. وملف التأمينات يجب أن يكون في صدارة الأولويات

توجه المنبر التقدمي، عبر قطاع النقابات العمالية والمهنية، عمال البحرين والعالم أجمع بذكرى عيد العمال العالمي الذي يحل علينا مرة أخرى في ظل جائحة كورونا، التي ذهبت بنا من سيء إلى أسوأ، وجعلت العمال في البحرين وفي العالم يدفعون ضريبة تدهور الوضع الاقتصادي مما أدى إلى تسريحات من الأعمال وفرض ضغوطاً شتى على العمال تفاقمت مع عدم وضوح الرؤية ذات المضامين التي تأخذ في أولوياتها ضمان الاستقرار والأمن الاقتصادي والاجتماعي لحياة القطاع العريض من العمال والأسر البحرينية، لاسيما في ظل ما فرض علينا من اشتراطات من جانب البنك وصندوق النقد الدوليين وهو الأمر الذي سلب ما تحقق من مكاسب للفقراء والكادحين والمساس بمستوى معيشتهم جراء ما فرض من ضرائب ورسوم أثقلت كاهل العمال والطبقة المتوسطة.

وتوقف التقدمي في بيانه أمام ملف التأمينات الاجتماعية، ملاحظاً أن وما وصلت إليه لجنة التحقيق البرلمانية من نتائج ما هو إلا برهان آخر يعزز ما ذهبنا إليه، وكان من واجب الحكومة الأخذ بتوصيات اللجنة، على عكس ما فعلته بدليل التعديلات الحكومية الأخيرة على قانون التأمينات الاجتماعية وهي مع الأسف غير منصفة وظالمة للأغلبية الشاسعة من العمال والمتقاعدين وتتجاهل العديد من أسباب العجز مثل الرواتب التقاعدية العالية للوزراء وكبار المسؤولين وإضافة الالتزامات المالية لتقاعد النواب إلى التأمينات الاجتماعية دون تمويله، ناهيك عن سوء الإدارة وارتفاع المصاريف الادارية وعدم وجود رؤية استراتيجية واضحة لاستثمارات هيئة التقاعد بما ينهض بواقع الهيئة في مختلف الجوانب.

وأكدّ التقدمي على «أن على الجميع أفراداً وجمعيات ونقابات واتحادات نقابية مسئولية كبيرة في مواصلة الضغط بهدف المحافظة على المكتسبات العمالية والوصول إلى حلول عادلة وأكثر فاعلية لإخراج التأمينات الاجتماعية من وضعها الراهن، ومن نفق العجز الاكتواري المظلم»، داعياً الجميع إلى تكثيف الضغط على مجلس النواب لوضع ملف التأمينات الاجتماعية في صدارة الاهتمام الجدي والرفض الحازم للمشاريع التي تنتقص من الحقوق والمزايا التقاعدية لعمال.

ومن جهة أخرى دعا التقدمي كل الأطراف المعنية إلى الالتفات إلى قطاع العمالة غير المنظمة والتي تقدر بربع العمالة الوطنية والعاملة في المهن والحرف والمشاريع المنزلية والمشاريع الصغيرة والمتناهية الصغر، وهؤلاء غير مسجلين في التأمينات الاجتماعية مما ينذر بكارثة مستقبلية لعدم توفر الأمان الاجتماعي مما سيؤدي إلى أعباء مستقبلية كبيرة على الحكومة والمجتمع.

وطالب التقدمي بمراجعة سياسات العمل بشكل شامل، فبعد عقدين من مشروع إصلاح سوق العمل تدهورت أحوال العمالة الوطنية وعرّت الجائحة بشكل فاضح النتائج العشوائية للقرارات والسياسات ذات الصلة بسوق العمل، خاصة من خلال تصريح العمل المرن، والبحرنة الموازية التي ألغت فعليا كل التزام للبحرنة، قابله سوء إدارة وزارة العمل لملف العاطلين مما نتج عنه انخفاض مروع لنسبة العمالة الوطنية في سوق العمل وارتفاع كبير لأعداد العاطلين عن العمل وزج بأعداد كبيرة للتقاعد المبكر، مما ساهم في إثقال كاهل التأمينات الاجتماعية وإحداث اختلال مجتمعي اقتصادي كبير.

إننا نطالب كل المعنين وعلى رأسهم وزارة العمل والتنمية الاجتماعية، والاتحادات النقابية إلى وضع هذا الملف في صدارة الأولويات والعمل على مراجعة أمينة وشفافة للوضع الراهن لسوق العمل بما يدفع إلى رسم التوجهات المستقبلية الهادفة إلى تعديل الوضع المعوج وتقديم مصلحة العمالة الوطنية وجعلها فوق كل الاعتبارات.

ويرى التقدمي «أن عالم أسواق العمل اليوم تتغير بسرعة كبيرة خاصة في ضوء الجائحة التي ساهمت في تسريع وتيرة تحولات عديدة فرضت تعاملات ومفاهيم جديدة، بالإضافة إلى سلبيات ألقت بضلالها الثقيلة على وضع العمال والموظفين، لا سيما في ضوء التحول المتنامي للشركات والمؤسسات المالية وغيرها من مؤسسات الأعمال نحو الرقمنة والمستجدات والتحولات غير مسبوقة مع المفاهيم والمتطلبات الجديدة التي يشهدها العالم اليوم».

وعن الانعكاسات المتوقعة محلياً لهذا التوجه أكدّ التقدمي بأنه «سوف يخلق عشرات المشكلات الاقتصادية والقانونية والتنظيمية التي ينبغي التوقف عندها ودراستها بعمق، خاصة في ظل التشوهات الحاصلة حالياً في سوق العمل البحريني، متوقعاً ارتفاع أعداد العاطلين عن العمل خلال هذا العام والأعوام القادمة ويدعم ذلك ما خرجت به بعض الدراسات والتوقعات من ارتفاع نسبة البطالة في صفوف أبناء البحرين»

وطالب التقدمي «كل الجهات الرسمية المعنية إلى الشفافية المطلوبة حيال هذا الملف والتعامل بدقة مع الأرقام لا سيما من خلال احتساب نسبة البطالة بمقارنة العاطلين عن العمل المسجلين لديها فقط نسبة إلى مجموع القوى العاملة واستثناء الآلاف من قوائم العاطلين من خلال التلاعب في الاجراءات وإعطائهم فرص عمل غير مناسبة لارغامهم على رفضها، والعمل بشفافية وجدية لتحسين وضع العاطلين عن العمل وتوفير وظائف مناسبة لهم».

ولاحظ التقدمي أنه «على الرغم من التحديات الكبيرة والمصاعب التي تواجه الحركة العمالية والهجمة الشرسة على الحقوق العمالية، فإننا نلمس وللأسف تنامي الضعف في البناء النقابي وتدهور تنظيمي وتفكك مؤسف للحركة النقابية وغياب للموقف الجاد من الحقوق النقابية والعمالية لمن يتصدر المشهد النقابي وانشغالهم بالمشاكل الداخلية دون تحرك جاد لحلها، وهذا وضع علينا جميعاً مسئولية معالجته بأسرع ما يمكن في سبيل النهوض الفعلي للحركة العمالية والنقابية».

وتوقف بيان التقدمي أمام عشرات طلبات الدعم والمساندة من العمال التي تستلمها «كتلة تقدّم»، موجهاً إليها التحية بهذه المناسبة «على دورها في الدفاع عن العمال وقضاياهم سواء بالدعم المباشر أو من خلال مشاريع القوانين المقدمة لمجلس النواب ومواقفهم جميعها المنحازة لمصالح العمال، يؤشر هذا إلى غياب دور النقابات والاتحادات العمالية التي يتوجب تمكينها من أخذ الدور المطلوب في التصدي للقضايا العمالية».

في الأول من مايو

كوادر عمالية تؤكد على المغزى الكفاحي للمناسبة، وتطالب بالوحدة النقابية

تستمر الآثار السلبية لتداعيات أزمة جائحة كورونا للعام الثاني على التوالي، وتفرض الاحترازات الصحية والإجراءات الوقائية تجنب التجمعات والاحتفالات، مما يتحتم معه ضياع الفرصة امام أعضاء ومناصري التقدمي من الاحتفال بذكرى الأول من مايو تلك المناسبة المميزة والخاصة التي دأب التقدمي على احيائها والحفاظ على استمرارية الاحتفال بها في مختلف الظروف وأقساها، إلا ان ظروف الجائحة كانت أقوى.

واحتفاءً بهذه المناسبة، سألت "التقدمي"، بعض كوادرنا العمالية والنقابية عن أهم القضايا التي تواجهها حركتنا العمالية بالتزامن مع الاحتفال خلال هذا العام.

الجائحة أضافت أوجه معاناة عمالية جديدة

رئيس قطاع النقابات العمالية والمهنية في التقدمي يحيى المخرق يرى أن: «الاحتفاء بعيد العمال يعدّ مناسبة مهمة لتقييم الوضع العام للطبقة العاملة عالمياً ومحلياً، ففي الساحة المحلية غيّرت الجائحة كثيرا في المعادلة وأضافت تحديات كثيرة أمام الطبقة العاملة، حيث ألقت بظلالها على واقع الأعمال، وأضرت كثيراً بالعمال، وحتمت على أصحاب الأعمال تغيير أسلوب العمل وانتهاج اساليب مختلفة، فقد حتمت اتباع أساليب العمل عن بعد ظهور صور جديدة من استغلال العمال كفرض استخدام مواردهم الذاتية للعمل بالإضافة إلى ارتباطهم بالعمل خلال ساعات اليوم متجاوزين ساعات العمل بحجه ان العامل في منزله»، مشيراً إلى: «زيادة معدلات الامراض النفسية والضغوط النفسية في أوساط العمال وبالأخص الخوف من المستقبل».

وأكدّ المخرق على أن: «انعكاسات الجائحة أدت إلى فصل العديد من العمال والتنازل عن الكثير من حقوقهم ومكتسباتهم كالإجازات والعلاوات والامتيازات، كما انه وبسبب التحول التكنولوجي الكبير والمفاجئ بدأت تقل الحاجة الى الموظفين وشهدنا موجات من تسريح الموظفين والتحول الى الرقمنة مما سيدفع الشركات وأصحاب الأعمال نحو التخلص من العمالة تدريجياً».

أحمد سند البنكي

علي غنّام

خديجة الصائغ

يحيى المخرق

الأول من مايو في الذاكرة العمالية البحرينية

عضو «التقدمي»، المناضل العمالي المخضرم أحمد سند البنكي قال إن مناسبة عيد العمال العالمي تذكره بالروابط الكفاحية والرفاقية بين العمال والكوادر النقابية في ظروف النضال العمالي الصعبة، وبما قدمته كوادرنا العمالية المناضلة من تضحيات من اجل حقوق الطبقة العاملة، ومن أجل ان يكون هذا اليوم عطلة رسمية، وهذا ما كانت تعبرعنه النشرات العمالية السرية التي كانت تصدرها جبهة التحرير الوطني واللجان العمالية التي ينشط فيها مناضلوها.

وأضاف المناضل البنكي أنه يستعيد أيضاً المسيرات العمالية في شوارع المنامة بمناسبة الأول من مايو التي كان المنبر التقدمي منظما رئيسياً لها مع الاتحادات والنقابات العمالية، مشيراً إلى أنه بات يفتقد هذه المسيرة العمالية السنوية.

وحول الواقع الراهن للطبقة العاملة البحرينية يرى البنكي أن فتح الأبواب على مصاريعها للعمالة الوافدة بما يفوق الحاجة الفعلية لاقتصاد البلد أدى إلى تفكيك حركتنا العمالية واضعافها، وأحلّ العمالة الوافدة في مواقع كثيرة كان يشغلها العمال البحرينيون، والنتيجة أن طبقتنا العاملة التي كانت أكثر تراصاً وتنظيماً تراجعت مكانتها في الاقتصاد المحلي ما انعكس على دورها في النضال العمالي، قياساً لمراحل سابقة كانت فيه في مقدمة صفوف الحركة الوطنية والمطلبية.

معاناة عمال السياحة والفندقة

من جانبه، قال العضو السابق في الأمانة العامة لاتحاد نقابات عمال البحرين علي غنام بأن: «الأول من مايو يوم للعمل والنضال والتضامن ورص الصفوف والوحدة والاستقلال من أجل تحقيق المطالب والعدالة والاجتماعية والحرية والمساواة والحفاظ على المكتسبات من أجل حياة كريمة بعيدة عن الاستغلال والاضطهاد والذي يتطلب وحدة الحركة النقابية العمالية». وأضاف:» نشعر بالاسى لما تمرّ به الحركة النقابية والعمالية من انقسامات اتساع الهوة والخلافات بين النقابات العمالية من جهة واتحاد عمال نقابات البحرين من جهة أخرى، والإقصاء للقيادات النقابية التي تمارسه بعض النقابات والاتحادات بعيداً عن مصالح العمال».

وانتقد غنام ما وصفه: «تنمر أصحاب العمل على النقابات وانعدام التفاوض الجماعي بين النقابات وإدارة الشركات الذي أدى إلى الكثير من حقوق العمال وفقدانهم الكثير من المكتسبات التي حققوها في نضالاتهم الطويلة على مرّ السنين».

ويرى غنّام أن قضايا مهمة كملفات المسرحين والمفصولين عن العمل بالأخص في قطاعي السياحة والفندقة لم تحظ بالاهتمام المطلوب، وسواها من ملفات لم تأخذ نصيبها من تسليط الضوء الكافي عليها، كملف التأمينات الاجتماعية، والذي لم نرَ حوله أي تحرك جدي سوى بيانات وتصريحات خجولة».

توحيد أجور المرأة والرجل

إلى ذلك، قالت رئيس قطاع المرأة في التقدمي، خديجة الصائغ بأن: «العمال هم من بنوا بسواعدهم الاوطان وبنضالهم وتضحياتهم جاء الأول من مايو وتحققت بعض من مطالبهم منها تخفيض ساعات العمل الى 8 ساعات والتأمين الاجتماعي وغيرها من المطالب".

وأضافت: "بهذه المناسبة نتمنى للطبقة العمالية البحرينية مزيداً من الانجازات ونتمنى القضاء على البطالة بتوظيف البحرينيين بدلاً من الاجانب وأن يكون هناك قانون عمل وقانون تقاعد منصف للبحرينيين، وأن تعطى النقابات مساحة أكبر للتعبير عن مشاكلهم ومطالبهم فالأوطان لا تبنى الا بسواعد ابنائه".

وعلى مستوى المرأة العاملة قالت الصايغ بأن: "مناسبة الأول من مايو مناسبة لتجديد المطالبات بتحسين أوضاع العمل بالنسبة في القطاع الخاص ومساواتها بالامتيازات التي تحصل عليها المرأة في القطاع العام، بالإضافة إلى تجديد المطالبة بتوحيد المزايا والأجور بين الرجل المرأة".

105 شكاوى عمالية في 2020 تتعلق بصرف الأجور

بلغ عدد الشكاوى العمالية خلال العام الماضي 105 شكاوى، وأشارت الحكومة إلى أنه تمت معالجة الشكاوى المرصودة وتسوية 68 شكوى واتخاذ إجراءات أخرى للمتبقي من الشكاوى، وإدراج 26 منشأة في قائمة المتابعة، في حين لا تزال 7 منشآت قيد المتابعة للتأكد من التزامها وإزالة كافة المخالفات المترتبة عليها.

مبينه بأنه تم تنظيم 376 زيارة تفتيشية للتأكد من الالتزام بدفع الأجور، حيث ضمنت المنشآت 2724 بحرينياً و7041 أجنبياً، إلى جانب الرد على أكثر من 9180 استفساراً بشأن الدعم الحكومي للأجور.

«الوطن» - 7 /4/ 2021

كورونا يهاجم سواق الأجرة بعد توقف الدعم

طالب عدد من سواق سيارات الأجرة بتجديد دعم صندوق العمل «تمكين» بعد توقفه في فبراير الماضي، مؤكدين أن وقف الدعم فاق الأزمة المادية للعديد منهم.

ولفت سواق سيارات الأجرة الى أنهم يعودون إلى منازلهم بلا أجور يومية تفي بمستلزمات الحياة. وطالب السواق بتخصيص دعم شهري مؤقت، خصوصا خلال شهر رمضان المبارك، إذ تزداد مصاريف الأسر خلال الشهر الكريم.

وبين السواق أنهم يعاملون من قبل وزارة العمل كما لو كانوا من التجار باعتبارهم من مزاولي الأعمال الحرة، فلا يحصلون منها على أي دعم وكونهم مصنفين ضمن الأعمال الحرة فهم غير مؤمنين في هيئة التأمينات الاجتماعية.

وكان صندوق العمل (تمكين) أطلق حزمة لدعم القطاع الخاص والعاملين في الأعمال الحرة ضمن جهود التصدي لجائحة كورونا، حيث استمر الدعم من أبريل العام 2020 وتوقف في فبراير 2021.

«أخبار الخليج» - 14/4/ 2021

4 ملايين دينار مجموع رواتب الأجانب في شركات ممتلكات

ممتلكات

كشف وزير المواصلات والاتصالات أن رواتب الأجانب العاملين في الشركات التابعة لممتلكات تبلغ 4 ملايين دينار سنويا، مؤكدا أنه تم إعطاء الأولوية للبحرينيين ويتم الاستعانة بموظفين أجانب في حالة عدم توفر الخبرات والمهارات المطلوبة لتلك الوظائف.

وأوضح الوزير في رده على سؤال برلماني بشأن عدد الشركات المملوكة بالكامل للدولة أو التي تساهم فيها بنسبة لا تقل عن 51٪ داخل البحرين الخاضعة لإشراف الوزارة، أن الوظائف التي يشغلها الأجانب هي عادة وظائف تقنية وفنية متخصصة في مجال معين تتطلب خبرات ومهارات معينة، لافتا إلى أنه يتم الأخذ في الاعتبار طبيعة عمل الشركة واحتياجاتها ومتطلباتها بالإضافة إلى وجود مساهمين آخرين فيها من الداخل أو خارج المملكة.

«الوطن» - 22 / 4/ 2021

نقلاً عن حساب الفنان
على «انستجرام»

كاريكاتير
خالد الهاشمي

انخفاض العمالة الأجنبية 9.7%

انخفضت العمالة الأجنبية خلال عام 2020 بنسبة 9.7٪، إذ بلغ حجمها 535 ألفا خلال الربع الأخير مقابل 592 ألفا و233 عاملا في الربع الرابع من 2019، وذلك وفقا لإحصائيات هيئة تنظيم سوق العمل التي أصدرتها مؤخرا. كما تراجع حجم التوظيف إلى 7.8٪ خلال نفس السنة، إذ بلغ إجمالي العمال 687 ألفا و700 من البحرينيين والأجانب.

وعزت الهيئة سبب انخفاض العمالة الأجنبية إلى تراجع إصدار تصاريح العمل الجديدة وإلغاء وتنقيح بيانات العمالة المنزلية المنتهية تصاريح عملها. في المقابل، بلغ إجمالي العمالة الوطنية حتى نهاية الربع نحو 152 ألفا و678 موظفا، بانخفاض بلغ قدره 7٪، فيما كان عدد العمال البحرينيين حتى نهاية 2019 نحو 153 ألفا و853 فردا.

وتراجع عدد تصاريح العمل الجديدة الصادرة من قبل الهيئة إلى 35 ألفا و30 تصريحا بانخفاض بلغت نسبته 19.6٪. أما تصاريح العمل المجددة فوصل عددها إلى 38 ألفا و912 بنسبة تراجع وصلت إلى 53.1٪، فيما لم تحظ تصاريح العمل الملغية بأي تغيير، إذ سجلت أكثر من 29 ألف تصريح.

«أخبار الخليج» - 2021 /4/19

بمناسبة يوم العمال العالمي
أهمية خلق الكادر النقابي

جواد المرخي

لابد من إدراك أهمية خلق الكادر الطليعي المناضل والذي يتمتع بالوعي الحقيقي، الكادر المثقف والمدرك لما يجري من حوله من صراعات على الساحة السياسية، خصوصاً تلك المعادية، والموجهة ضد حقوق الطبقة العاملة والجماهير الكادحة، لذلك وجب على القوى الوطنية وفي مقدمتها اليسارية أن تعدّ الكوادر التي يعتمد عليها لكونها متمكنة ومبدعة، وذات صلة بما يجري من تطورات على الساحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأثرها على الحركة العمالية والنقابية وسائر الحركة الجماهيرية.

لقد بيّن الصراع الطبقي المستمر بين الطبقة العاملة عبر عقود من الزمن ومعها سائر الشغيلة والشعوب المضطهدة ضد سياسات النظام الرأسمالي العالمي، أهمية بروز الكادر الطليعي لاستمرارية هذا النضال لخلق اساليب النضال المتجددة في كل الظروف والمستجدات لحشد جماهير العمال من أجل استمرارية هذا النضال بأنواعه المختلفة.

اكتسبت الحركة العمالية قي ظل صراعها الطبقي الكثير من الخبرة والمعرفة في اكتشاف ألاعيب رأس المال العالمي وطرق الظلم والاستغلال الذي تديره بالأساس الامبريالية العالمية عن طريق الاحتكارات متعددة الجنسيات، وهنا يأتي دور الكوادر الطليعية في معرفة احتواء الانظمة الرأسمالية للأنشطة العمالية والنقابية، ومحاولات العمل على تغييب دور النضال العمالي والنقابي، خصوصاً محاولات الوقوف بأساليب مختلفة لسلب القرار العمالي والنقابي المستقل، ومن ثم جعل النقابات العمالية والمهنية ذات الصفة الصفراء هي السائدة.

وهذا ما نراه بوضوح تام في سياسة البرجوازية العربية التي عملت دائماً على أن تهمش الحركة العمالية وتهيمن عليها بالترهيب والبطش تارة، وأخرى بالترغيب، لتجعلها ضعيفة من خلال تحجيم دورِ قياداتها واجبارها على أن تخضع لتوجهات المؤسسات الاحتكارية خصوصاً في ظل الاستعانة باصدار القوانين والتشريعات، ومن بينها تشريعات خطيرة تكبل وتحجم دور الحركة العمالية من أجل الانقضاض على المكتسبات المختلفة، بما في ذلك عن طريق خصخصة المشاريع الاقتصادية التي بنيت في عهد النهضة الوطنية بعد الاستقلال.

وتحصن الحركة العمالية والنقابية بخلق الكوادر والقيادات المناضلة الطليعية لا يأتي من فراغ، فلا يمكن للحركات الغارقة في وحل العنصرية والطائفية بأن تصنع مثل هذه الكوادرالقادرة على تحليل ما يجري من حولها من احداث وتطورات وتغييرات، فمثل هذه المهمة منوطة بالحركة الماركسية واليسارية بقواها وأحزابها المختلفة في عموم الوطن العربي من أجل تقوية النضال اليومي ضد صنوف الإفقار والتجويع والبطالة التي يعاني منها ملايين الكادحين، وللحركة الماركسية في العالم تاريخ من الانجازات المشهودة، فقد حققت الكثير من المكاسب في وسط الحركة العمالية والنقابية، ووفرت الأسس والمفاهيم النقابية والدراسات الكثيرة من أجل النهوض بهذه الحركة، والتي من خلالها نضمن زيادة الوعي الحقيقي، ولم يكن ذلك ممكناً لولا النجاح في خلق الكادر الطليعي.

فلنجعل من مناسبة الأول من مايو آيار عيد العمال العالمي دافعاً لإستمرارية تجديد الانشطة للحركة العمالية والنقابية.

مقارناً بين التعديل المقدم من الحكومة واللوائح الداخلية لبرلمانات عربية

هاشم: ما جدوى المناقشة العامة فيما توجيه النقد للحكومة ممنوع؟

في تعليقه على المرسوم بقانون رقم (26) لسنة 2020 بتعديل المادة 173 من المرسوم بقانون رقم (54) لسنة 2002 بشأن اللائحة الداخلية المنظمة للمناقشة العامة في مجلس النواب قال عضو «تقدّم» النائب السيد فلاح هاشم، أنه عملاً بمبدأ استقلالية السلطات وتعاونها أيضاً كان الأحرى عند إجراء أي تغيير فيها أن يتم عبر آلية التوافق من خلال مشروع بقانون، يتم مناقشته ويجري النواب عليه التعديلات وفق ما يرتأون، لا أن يتم تغيير هذه اللائحة بين فترة وأخرى وكأنها القضاء المحتوم والمستعجل، وفي اتجاه تقليص صلاحيات الأعضاء وهذا ما حصل في مواضيع عدة منها الاستجواب، واقتصار السؤال على ذات الفصل التشريعي المقدم فيه مروراً بمنع تمديد فترة عمل للجان التحقيق وصولاً الى ما نحن بصدده اليوم

وتساءل هاشم عن جدوى المناقشة العامة إذا كنا، كنواب، «مقيدين بمداخلة واحدة وممنوعين من توجيه النقد واللوم وغيره للحكومة»، فبهذا تنتفي المناقشة من جوهرها ويبقى الحوار من جانب واحد. وقارن هاشم التعديل المقترح من الحكومة على المادة 173 من اللائحة الداخلية بخصوص المناقشة العامة، وبين ما تنص اللوائح الداخلية لبعض البرلمانات العربية، ومن بينها الكويت، حيث أشارت المادة 146من اللائحة الداخلية لمجلس الأمة هناك على أنه «يجوز بناء على طلب موقع من عدد لا يزيد على خمسة أعضاء ولا يقل عن هذا العدد طرح موضوع عام على المجلس للمناقشة لاستيضاح سياسة الحكومة في شأنه وتبادل الرأي بصدده ، ولسائر الأعضاء حق الاشتراك في المناقشة»، دون تحديد وقت أو محظورات أخرى.

كان الأحرى عند إجراء أي تغيير فيها أن يتم عبر آلية التوافق من خلال مشروع بقانون

اقتصار السؤال على ذات الفصل التشريعي المقدم فيه مروراً بمنع تمديد فترة عمل للجان التحقيق

في رده على تصريحات وزير شؤون المجلسين

زينل: رفض انتقاد الحكومة في المناقشات العامة سلب جديد لصلاحيات النواب

في معرض رفضه للمرسوم بقانون، الخاص بمنع النواب من انتقاد ولوم الحكومة في المناقشات العامة، قال عضو كتلة «تقدّم» يوسف زينل: «التعديل المقدم من الحكومة يمثل سلباً جديداً لصلاحيات النواب، وتحجيماً لوظيفتهم الرقابية على السلطة التنفيذية وأجهزتها، وهي الوظيفة التي يتطلب القيام بالحد الأدنى منها توجيه النقد للوزراء المختصين، وتساءل: هل تسعى الحكومة لتدجين ممثلي الشعب؟ ولمصلحة من استمرار مسلسل التراجع للتجربة التي تمثل محور المشروع الإصلاحي لجلالة الملك؟ورداً على التبريرات التي ساقها وزير المجلسين غانم البوعينين، قال زينل: «الفارق جلي بين النقد المشروع والإساءة أو الشخصنة، ولا قصور تشريعي في التصدي لذلك وهو ما يؤكد انتفاء الحاجة للتعديلات التي تشي بوجود مآرب أخرى».

واختتم زينل تصريحه بالإشارة إلى حاجة التجربة البرلمانية في مملكة البحرين وبعد مرور عقدين على انطلاقتها في العام 2002 إلى تعزيز صلاحيات النواب عوض الانتقاص منها، وتساءل: كيف سنقنع الناس بنجاح التجربة ومصداقيتها ورفع نسب المشاركة ونحن نقترب من فصل تشريعي سادس، فيما التجربة تتقلص وتفقد المزيد من أدواتها وفاعليتها؟

زينل يشيد بالتوجيهات الملكية للتوسع في العقوبات البديلة

على صعيد آخر أشاد النائب يوسف زينل بالنتائج الإيجابية المتوالية للتوجيهات الملكية بشأن التوسع في تطبيق قانون العقوبات البديلة، أحدثها ما نشهده هذه الأيام من إفراجات معززة لأجواء البهجة والاستقرار.

ونوه زينل بأهمية الفرصة التي يجدد طرحها هذا النهج أمام مختلف الأطراف المجتمعية من أجل الالتفاف والاندماج والمساهمة في عملية البناء وفق أطر دولة المؤسسات والقانون، ومد جسور الثقة ومراجعة التجربة السابقة ونقد ما شهدته من أخطاء جسيمة التي تسببت في تعميق أزمة الثقة.

وتطرق زينل إلى العقوبات البديلة من زاوية قدرتها على مواجهة تحدي الموازنة بين منح المحكوم فرصة استبدال العقوبة السالبة للحرية من جانب وعدم التأثير سلباً على حقوق الطرف المقابل (المجني عليهم) وعلى غاية الردع المتوخاة من تنفيذ العقوبة، داعياً إلى الإعلاء من قيم الحرية والتسامح والاستقرار ، معبراً في هذا السياق عن تفاؤل عام باستفادة المزيد من المحكومين من القانون في المرحلة القادمة.

مطرقة البرلمان

تقييد المناقشة العامة مصادرة أخرى لدور البرلمان الرقابي

عبد النبي سلمان

ناقش مجلس النواب في جلسته التي عقدت بتاريخ 20 ابريل المنصرم مرسوما ملكيا ساميا يتعلق بقضية مهمة تتعلق بتعديلات أدخلها هذا المرسوم على اللائحة الداخلية لمجلس النواب، مضمونها الأساس وضع ضوابط وقيود على آلية المناقشة العامة التي حددتها اللائحة ذاتها وتمت على أساسها اكثر من 18 مناقشة عامة على مدار عمر التجربة النيابية الوليدة منذ العام 2002 حتي تاريخه.

بطبيعة الحال فإن تغيير وتعديل لوائح المجلس أمر طبيعي يخضع في العادة لعدة أمور جلها تتعلق بتقادم عمر التجربة وما تستدعيه الممارسة البرلمانية ذاتها، وما يترافق معها من طموحات وتوجهات نيابية وسياسية تستوجب ضرورة اجراء تعديلات محددة، من شأنها ان تساعد على تحسين الأداء العام للمجلس والنواب علي حد سواء.

الا ان الملاحظ من خلال ما تابعه الشارع البحريني اثناء مناقشة المرسوم المذكور ان مواقف الكتل والنواب جاءت متباينة الى حد كبير حيال تلك التعديلات، واللافت فيها أن الرأي الموافق علي تلك التعديلات المقيدة لآلية المناقشة العامة كان ربما هو الأكثر غموضاً، وبدى وكأنه وافق على تمرير تلك التعديلات من دون أسباب مقنعة سواء للنواب الرافضين لتلك التعديلات او حتى للشارع في البحرين..وتلك مسألة ربما تحتاج من الشارع والمعنيين بحثها بشكل اكثر وضوحا ومكاشفة، فالنائب بغض النظر عن كتلته او حتى انتماءه السياسي وشريحته الاجتماعية، هو في الأساس ممثل الشعب، منه وإليه يعود ومن حق الناس أن تفهم مغزى كل هذا الغموض أولاً وقبل كل شيء حتى تقتنع بأسبابه.

ما يهمنا في هذا الشأن هو اسباب ومبررات الموقف الرافض لتلك التعديلات التي أدخلت على اللائحة والتي مررها المجلس في نهاية المطاف بموافقة 13 نائبا ورفض 12 نائبا وامتناع 9 وغياب 6 نواب عن الجلسة لأسباب بعضها غير مبرر، في الوقت الذي كان رفض تلك التعديلات يحتاج الى تصويت 21 نائبا رافضا، بحسب ما تشترطه المادتان (78) و(124) من لائحة المجلس.

الموقف الرافض الذي قادته كتلة «تقدّم» النيابية كان واضحاً إلى أبعد الحدود، حيث قابل حجج الحكومة بحجج ومبررات لم تجد لها إجابات مقنعة، وهذا ما عبر عنه أعضاء الكتلة ومعهم عدد مهم من أعضاء المجلس والذي تلخص في ان تطور التجربة الديمقراطية الذي وعد به ميثاق العمل الوطني وتعزيز الدور الرقابي لمجلس النواب، يفترض بطبيعة الحال ان يكون هناك تقدم ومراجعة تقود العمل البرلماني عبر مسار تدريجي نحو الأمام وليس الى الخلف وباتجاه النكوص، وملخص ماجاء في مداخلاتنا الواضحة مع بقية زملائنا الرافضين لتلك التعديلات، أن مجلس النواب في دورته السابقة صوّت على اعاقات واضحة تسببت فيها التعديلات التي أدخلت من قبل اربع سنوات تقريبا على أداة الاستجواب، ليصبح معها الاستجواب كأداة رقابية شبه مستحيل في ظل المعطيات القائمة، وبالمثل أعاقت فتوى المحكمة الدستورية منذ أشهر دور لجان التحقيق بتقليص فترة التمديد التي كانت مسموحة لأربعة اشهر إضافية، كما حصل في فصول تشريعية متتالية، مع اعتبار توصيات تلك اللجان غير ملزمة للحكومة!

في اعتقادي أنه لا توجد مبررات مقنعة لدى الجانب الرسمي للمطالبة بإدخال تلك التعديلات، والتي أرى من موقعي وكما ذكرت في مداخلاتي اثناء النقاش أن ذلك حصل على خلفية المناقشات العامة التي قام به المجلس الحالي في ملفين مهمين هما الملف التعليمي وملف إصلاحات سوق العمل وقضية البحرنة، التي اولاها المجلس الحالي جهداً استثنائياً بشهادة الجميع، حيث اتسمت تلك النقاشات حينها بالجدية والواقعية، كما شخصت أوضاع التعليم وسوق العمل بشكل واضح وشفاف ووضعت لها الحلول المناسبة، لكن كل ذلك لا يبدو بكل اسف انه مقبول من الطرف الرسمي، رغم أنه يؤسس لتفاعل خلاق ومثمر بين السلطتين،، ويخلق تكاملا في الأدوار طالما تمنيناه لتجربتنا الديمقراطية الوليدة التي علينا أن نحرص باستمرار على دعمها وإسنادها بكل السبل لترتقي، ولو بالتدرج البطيء، وعدم السماح بعودتها تحت أي مبررات الى الوراء، فالديمقراطيات الحديثة والناشئة منها تحديداً لم ترتق إلا بالصبر والتحمل والمكابدة من قبل جميع الأطراف.

تلك امنيات سنظل مدافعين عنها ونحن نمارس دورنا في رفد التجربة البرلمانية بخبراتنا المتواضعة مع بقية المخلصين للتجربة رغم كل التحديات، وتلك مهمات يجب ان لا تنتقص أو أن يسمح لها بأن تصيبنا باليأس والقنوط مهما عظمت تلك التحديات فتلك هي طبيعة العمل السياسي على أية حال.

آن الأوان لتشـــريـــع تأميـــن اجتمـــاعـــي يشمـــل الجميـــع

فلاح هاشم

أهمية تمديد الدعم اللازم للعمال الضعفاء من غير المسجلين في الضمان الاجتماعي أو التأمينات الاجتماعية، فهم يعتبرون في حكم البطالة أو البطالة الجزئية

(تكفل الدولة تحقيق الضمان الاجتماعي اللازم للمواطنين في حالة الشيخوخة أو المرض أو العجز عن العمل أو اليتم أو الترمل أو البطالة، كما تؤمن لهم خدمات التأمين الاجتماعي والرعاية الصحية، وتعمل على وقايتهم من براثن الجهل والخوف والفاقة).

المادة (5/ج) من دستور مملكة البحرين

تُظهر الدراسات لعدة منظمات دولية، ومن ضمنها منظمة العمل الدولية الأثر المباشر لجائحة كوفيد-19 على العمال الفقراء والمنشآت الضعيفة، وكيف فاقم الوباء هذه التحديات الأساسية، وجعل كسب العيش وتأمين مصادر الدخل أكثر صعوبة بالنسبة للناس الضعفاء؛ وخاصة ممن يعملون في ما يعرف بالاقتصاد غير المنظم، والذي يعمل به عدد غير قليل من العمالة الوطنية البحرينية، وفاقمت منها الأعداد الكبيرة من العمالة الوافدة خاصة من إفرازات ما عرف «برخصة العامل المرن» مما أضاف تحديات أخرى ووضعها في منافسة أشدّ في سعيها لتحصيل قوتها اليومي.

وبالرغم من أن الدولة قدمت في بداية الجائحة دعماً لجميع أصحاب العمل، بتحمل تكلفة 3 شهور من أجور جميع العاملين البحرينيين، واستمر الدعم لعدة أشهر لبعض ممن يعمل في هذا القطاع، مثل: سواق سيارات الأجرة، وباصات نقل الطلبة، والعاملين في المطاعم، عبر دعم أصحاب المطاعم، وبعض المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، والتي تأثرت أجور العمالة البحرينية فيها بصورة كبيرة أو كاملة من جراء الجائحة، مما ساهم في تخفيف أثار الجائحة على بعض من أفراد هذه الفئة. إلا أن اتساع هذه الشريحة (كالبائعين الجائلين والعاملين في الأسواق بصورة أفراد، وغيرهم من الذين لم يشملهم الدعم) وطبيعة عملها غير المنظم، ومع غياب الإحصائيات الدقيقة عنها (1)، جعلهم يفتقرون إلى العديد من الحقوق وفي مقدمتها الحق في التأمين الاجتماعي.

إن مقدار الانكماش في عمل هذا القطاع وصل إلى مستوى جسيم، الى درجة توقف العمل في بعضها، بحكم أن طبيعة العمل فيها تستلزم حضوراً جسدياً أو مرتبطة بالنشاطات الاجتماعية والسياحية. وهي قطاعات كان يعول عليها لاستيعاب أعداد من المواطنين، سواء كأصحاب عمل لمؤسسات صغيرة ومتناهية الصغر، أو كعاملين وحرفيين وأصحاب مهن. مما أدى إلى تقلص أو توقف مدخولاتهم طوال الفترة الماضية منذ بداية الجائحة إلى الآن.

وبالرجوع الى ما تنص عليه التوصية العربية رقم (5) بشأن الحماية الاجتماعية في القطاع الاقتصادي غير المنظم من تعريف لهذه الشريحة ب «مجموعة الافراد والوحدات التي تمارس أنشطة مشروعة وتنتج سلعاً أو تقوم بتوزيعها وتعمل لحسابها أو لحساب الغير ولا تشملها الحماية الاجتماعية»، وهذا ما تفتقر له هذه الشريحة من المواطنين في جانب الأمن الاقتصادي وهو عدم شمولهم بأنظمة الحماية الاجتماعية، وهي المنظومة التي مع كل الملاحظات على إدارتها، تبقى هي الملاذ القادر على معالجة تبعات الكوارث والأزمات، عن طريق تشريعات تؤمن لهذه الشريحة من المواطنين الانضواء تحت مظلتها بتشجيع ومساهمة من الدولة.

(رغم إعلان وزير العمل في تصريح سابق بخصوص حجم القوى العاملة البحرينية والتي قدرها بـ 198 ألف بينها 152 ألف ممن هم مسجلين في مؤسسات وينضوون تحت مضلة الحماية الاجتماعية، وبذلك يتضح أن هناك أكثر من 40 ألف ممن يمكن تصنيفهم بالعاملين في المؤسسات او القطاع غير المنظم)

فإجراءات الدعم المالي المؤقت وإن كانت مهمة، إلا أن تأثيرها محدود ولا يمكن أن تستمر لفترات طويلة، وبذلك فإن من المهم معالجة هذا الأمر عن طريق تشريع يوسع الحماية الاجتماعية للجميع، ويكون في استطاعتهم الاشتراك فيه، مع أهمية تمديد الدعم اللازم للعمال الضعفاء من غير المسجلين في الضمان الاجتماعي أو التأمينات الاجتماعية، فهم يعتبرون في حكم البطالة أو البطالة الجزئية.

هذا مع أهمية إعادة النظر في سياسات التشغيل الموجهة والمعتمدة نحو هذا القطاع غير المنظم، والانتقال إلى تنظيم هذا القطاع عن طريق تنظيمهم في مؤسسات من ضمنها مؤسسات ذات شكل تعاوني أو قادرة على معالجة تبعات مثل هذه الكوارث والأزمات.

مشيراً إلى موجة تقاعد قادمة تشمل أكثر ٤٥ ألف موظف

زينل يدعو إلى منح العاطلين أولوية شغل الشواغر

قال النائب يوسف زينل إن مملكة البحرين مقبلة، وبحسب توقعات الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، على موجة تقاعد جديدة، قوامها أكثر من 45 ألف موظف موزعين على القطاعين العام والخاص، وزمنها العام الحالي والعام المقبل.

ولفت زينل إلى ضرورة النظر إلى ذلك بوصفه فرصة من أجل توظيف آلاف العاطلين من أبناء البلد، خصوصاً في القطاع العام الذي تتوقع الهيئة تقاعد أكثر من 12 ألف موظف منه في عام 2021 و 2022، فيما تشير توقعات الهيئة إلى تقاعد أكثر من 33 ألف موظف في القطاع الخاص، بما يشكل ضعف عدد المتقاعدين من القطاع العام لنفس الفترة.

وتحقيقاً لذلك، دعا زينل كلاً من جهاز الخدمة المدنية ووزارة العمل والتنمية الاجتماعية لحصر وظائف جميع من سيتقاعد، وتحديد مواقع النقص التي يتوجب سدها، ومنح قوائم العاطلين المؤهلين من المسجلين لدى الجهاز والوزارة أولوية شغل الشواغر، ووضع خطة موازية لتأهيل من يتطلب توظيفه بإلحاقه بدورات تدريب على رأس العمل.

بصراحة

السياسات النيوليبرالية
واستهداف الحقوق المعيشية للمواطنين

جاء في مقدمة العهد الدولي الخاص بالحقوق السياسية والمدنية :(إن الدول الأطراف في هذا العهد، إذ ترى أن الإقرار بما لجميع أعضاء الأسرة البشرية من كرامة أصيلة فيهم، ومن حقوق متساوية وثابتة، يشكل، وفقاً للمبادئ المعلنة في ميثاق الأمم المتحدة، أساس الحرية والعدل والسلام في العالم، وإذ تقر بأن هذه الحقوق تنبثق من كرامة الإنسان الأصيلة فيه، وإذ تدرك أن السبيل الوحيد لتحقيق المثل الأعلى المتمثل، وفقاً للإعلان العالمي لحقوق الإنسان، في أن يكون البشر أحراراً، ومتمتعين بالحرية المدنية والسياسية ومتحررين من الخوف والفاقة، هو سبيل تهيئة الظروف لتمكين كل إنسان من التمتع بحقوقه المدنية والسياسية، وكذلك بحقوقه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وإذ تضع في اعتبارها ما على الدول، بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة، من الالتزام بتعزيز الاحترام والمراعاة العالميين لحقوق الإنسان وحرياته).

ولأن هذه الحقوق لا تنحصر في حق معين بل هي عديدة، لهذا نُصّ عليها في الاتفاقيات الدولية والدساتير للعديد من البلدان في العالم لتكون ملزمة لها، وأصبحت حقاً دستورياً لا يمكن التنصل منها تحت أي ظرف من الظروف، ولابد من الالتزام بها وتنفيذها تجاه مواطنيها في البلدان المقرة في دساتيرها، وتُساءل وتُحاسب من قبل السلطات التشريعية المنتخبة وتُثار إشكالية حولها مع المنظمات الدولية المعينة بحقوق الإنسان.

موضوعنا عن الحقوق المدنية المثبتة كمواد في دساتير بعض البلدان الخليجية بما فيها بلادنا البحرين، حيث توجد تلك المواد في دستور مملكة البحرين 2002 (7 "أ"، 8 "أ"، 9، 13 "ب")، ولا يسع المقام هنا لنقل تلك المواد الدستورية، لذا نكتفي بالمادة (8) أ- : "لكل مواطن الحق في الرعاية الصحية، وتعنى الدولة بالصحة العامة، وتكفل وسائل الوقاية والعلاج بإنشاء مختلف أنواع المستشفيات والمؤسسات الصحية"، ورغم أهمية بقية المواد إلا أننا نتوقف أمام هذه المادة بالذات، لما لها من خصوصية لأنها تعنى بالصحة العامة، صحة الإنسان التي بدونها لا يستطيع القيام بالعديد من الواجبات والالتزامات في الأسرة، العمل، المجتمع، وأن توفر التعليم، العمل، السكن، في بعض الاحيان، وإن كان في حالات عديدة لا تتوفر للمواطن جميع تلك الحقوق وبالأخص المواطنين أصحاب الدخل المحدود، وإن حصلوا عليها تأتي بعد معاناة وانتظار لسنوات طويلة، بالأخص السكن الذي هو أيضاً حق دستوري، حيث أن طلبات المواطنين في وزارة الإسكان بالآلاف ينتظرون مدداً تصل إلى 20 و25 سنة، فكيف يطلب من المواطن القيام بالواجبات الدستورية ولا تُلبى حقوقه المنصوص عليها في الدستور؟.

والأكثر من هذا وذاك تستمر سياسة النيوليبرالية

فاضل الحليبي

بتحميل المواطنين أعباء مالية إضافية من خلال فرض الضرائب والرسوم عليهم، وهم ليسوا شركاء في القرار السياسي ويدفعون الثمن باهظاً لأخطاء وسياسات الدولة الفاشلة والتي لم تستطع التصدي للفساد والفاسدين وسارقي المال العام. ولو تحدثنا فقط عن الفترة الماضية طوال العشرين سنة الأخيرة، فيمكن العودة إلى تقارير ديوان الرقابة المالية والإدارية، وهو جهة رسمية تابعة للدولة، لنرى حجم الفساد، ولكن لم نقرأ بأن هناك مسؤولين متورطون في قضايا فساد وسرقة المال العام تمت محاكمتهم، مثلما حدث في بعض الدول الخليجية، وليس الاكتفاء بمحاكمتهم، بل صدرت بحقهم أحكام بالسجن في قضايا فساد وغيره، فالفساد وباء خطير وفتاك يجب مكافحته والتصدي له، لا غض النظر عن الموضوع وترك الفاسدين والمتورطين فيه يمرحون ويسرحون دون مساءلة قانونية لهم بتقديمهم للمحاكمة، وكأنها مكافأة لهم على أفعالهم المشينة في سرقة المال العام وهي جريمة بحق الوطن والمواطن.

تمضي التوجهات لتنفيذ السياسة النيوليبرالية تحت عناوين ومسميات متنوعة، بذريعة تقوية الاقتصاد الوطني بانتشاله من حالة الركود والضعف، من خلال الذهاب بعيداً بتنفيذ عمليات الخصخصة، وإن كانت إجراءات التحول متفاوتة وتأخذ وقتاً في تلك القطاعات الحيوية (الصحة، التعليم، الإسكان، الكهرباء والماء) التي تمسّ حقوق المواطنين وبالأخص الفئات الفقيرة والكادحة وترك الفاسدين والمتسببين في التراجعات والصعوبات التي يعاني منها الوضع الاقتصادي في البلاد ماقبل جائحة كورونا وتداعياتها مما أدى إلى العجز في الموازنه لعام 2021 و 2022 وارتفاع ملحوظ في الدين العام، يفاقم من استمرارية الأزمة ولن تفيد نصائح البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، نصائح كارثية تحمِّل المواطنين الأعباء المالية وبالأخص الفئات الشعبية الفقيرة بمزيد من فرض الضرائب والرسوم .

تدعو النيوليبرالية «إلى تبني سياسة اقتصادية تقلل من دور الدولة وتزيد من دور القطاع الخاص قدر المستطاع، و تسعى لتحويل السيطرة على الاقتصاد من الحكومة إلى القطاع الخاص، بدعوى أن ذلك يزيد من كفاءة الحكومة ويحسن الحالة الاقتصادية للبلد.» وبكلمات فإن النيوليبرالية تزيد الفقير فقراً والغني غنًى وتسلب من الفئات الفقيرة والكادحة حقوقها وبالأخص الحقوق المكتسبة طوال سنوات بل وعقود، وتخلق في المجتمع حالة من التمييز والفوارق الطبقية، وتغيب مبادئ وقيم المساواة والعدالة الاجتماعية .

مهمة أعضاء مجلس النواب كبيرة بالتصدي للتوجهات النيوليبرالية التي تمضي نحو الخصخصة للقطاعات الحيوية (الصحة، التعليم، الإسكان، الكهرباء والماء) لكي لا يكونوا شركاء السلطة التنفيذية في إفقار المواطنين، عليهم التعلم من درس الهيئة العامة للتأمين الاجتماعي، لكي لا تتكرر الأخطاء والمآسي ويتحملها المواطنون ويخسر الوطن.

موافق .. وممتنع .. وشر البليّة !

ها نحن فى المشهد ذاته، لازيادة ولا نقصان، مشهد قد يؤدى بنا الى ما هو أسوأ من اليأس، أو أدى بنا وانتهى الأمر، لا سيما انه يصب فى مجرى مشاهد أخرى سابقة وجدنا فيها نواباً وهم يتبارون فى تقييد اي مشروع استجواب وتقليص صلاحيات مجلس النواب فى توجيه الأسئلة، والآن جاء منع توجيه اللوم أو النقد أو الاتهام فى عملية تفضح نفسها بنفسها تجعل هذا المجلس منزوع الدسم بعد أن كان قليل الدسم!

خليل يوسف

كان من المستغرب، بل من المستهجن تلك التبريرات التى ساقها بعض النواب لتبرير إقرارهم تعديل اللائحة الداخلية لمجلس النواب، حتى أولئك النواب الذين امتنعوا عن التصويت، ومعهم الذين تغيبوا أو غيّبوا انفسهم، وجميعهم فى غنى عن التعريف لا يجب أن يعفوا أنفسهم من مسؤولية هذا الاعتداء الجديد الصارخ على ما تبقى من صلاحيات برلمانية، الامتناع عن التصويت ليس حياداً، والتغيب بعذر أو بدون عذر هروب من مواجهة الموقف وكلاهما فى حكم الموافقة، والمشاركة فى الدفع بالعمل البرلماني والتجربة البرلمانية برمتها الى قعر الهاوية، هو مشهد جديد ومرير لاينسي يعجز فيه نوعية من النواب عن إثبات جدارتهم والذهاب بنا إلى محطة القنوط واليأس.

أهم ما فى التعديل أنه وتحت ذريعة ضبط "المناقشات العامة" يمنع توجيه النقد أو اللوم أو الاتهام من قبل أي نائب لأي مسؤول، أو أي جهة حكومية، ويحدد مدة أي مناقشة تحت قية البرلمان بما لا يتجاوز 5 دقائق لا غير، وهذه خطوة من حيث الجوهر والمغزى والمعنى خطوة جديدة فى مسار عرقلة تطوّر التجربة البرلمانية، وابقاءها فى مكانها تراوح، والمؤسف حقاً أن هذه الخطوة جعلت الكثيرين من المراهنين والواعدين أنفسهم بإمكانية أن نصل إلى برلمان معتبر قادر على أن يناقش بحرية، وأن يساءل ويحاسب ويستجوب ويشرّع ويحارب الفساد ويواجه من يهدرون المال العام، ويجاهدون فى سبيل كل ما يدخل الارتياح والثقة والتفاؤل إلى نفوس أبناء البحرين الذين يعيدون النظر فى تفاؤلاتهم وتوقعاتهم، فماحدث أثبت أننا أمام حالة متداعية فى العجز والمراوحة وسباق الى الهاوية وبات اليأس يطوق الجميع من الجهات الأربع.

يكفى التمعن فى ردود الفعل فى المقدمة منها ما زخرت به الكثير من مواقع التواصل الاجتماعي من تعليقات صبت معظمها فى مجرى التأكيد على أن ما يجرى هدفه "ضعضعة" و"تقزيم" العمل البرلماني والمضي بالتجربة البرلمانية الى المزيد من التراجع معنى وسلطة وشرعية وتمثيل وهيبة، مع علامات استفهام وتعجب حول حقيقة الوضع البرلماني وأفق هذا الوضع، والمصيبة أن ذلك حدث من جانب نواب بفترض أنهم يمثلون الشعب وليس غيرهم، والمصيبة الأكبر أن منهم من فعل ذلك وهو يتفنن فى التبرير كما لو انه يتكلم بصوت الحكمة، أو حكيم يستنار بضوئه والحريص على قيّم العمل الوطنى والبرلماني، والمحافظة على هذه القيم، فيما هو وآخرون ممن يعملون معاولهم فى صروح هذه القيم تهديماً.

للتذكير، التعديل الذى عرض على مجلس النواب فى 20 ابريل 2021 وافق عليه 13 نائباً، و تغيّب أو غيّب نفسه عن حضور الجلسة 6 نواب، أما الرافضين له فقد بلغ عددهم 12 نائباً ومن ضمنهم نواب كتلة تقدم (عبدالنبي سلمان، فلاح هاشم، يوسف زينل) والحقيقة انه يشهد لهؤلاء انهم اعترضوا على المقترح بشجاعة، أما المثير للريبة حقا فهو امتناع 9 نواب عن التصويت، الأمر الذى فرض سؤالاً يبحث عن اجابة تشفى الغليل يدور حول ماهية تفسير الممتنعين عن التصويت، أحد المتابعين قال "إذا عرفنا مرامى الموافق وغير الموافق وحتى المنسحب، هل من تفسير لموقف الممتنع، وعلى أي أساس هو ممتنع، هل من حكمة وراء هذا الامتناع، أم هى مسرحية مصطنعة "؟

ربما علينا أن نتذكر بأن الجلسة وفقاً لبعض الصحف المحلية شهدت المناقشات مشادات وشدٍ وجذب وتبادل فى الاتهامات بين النواب، المؤيدين الذين اعتبروا بأن التعديل "سيضبط انفعالات بعض النواب إثناء المداخلات وسيشجع على المحافظة على أسلوب مرتب فى النقاش، وتحقيق المزيد من العصف الدهنى، أما الرافضون فقد وجدوا فى التعديل بأنه "يعود بالحياة النيابية خطوات الى الوراء، ويقلص من صلاحيات النواب، مؤكدين بأن النقد أمر صحي طالما أنه ايجابي، وأن الوزراء موظفين فى الحكومة وهم ليسوا فوق النقد الذى يمنح المجلس النيابي الحيوية المطلوبة ويدفع إلى إصلاح الأوضاع وتصحيح أوجه الخلل، وأن البرلمان مؤسسة سياسية يجب أن يقول النائب آراؤه والدفاع عن مصالح الشعب، وأن ميثاق العمل الوطنى وعد البحرينيين بتطوير التجربة البرلمانية وما يحدث لا يثبت ذلك".

وهناك تساؤلات مهمة طرحت من نوع "اذا كان الاستجواب لم يعد ممكناً، والمناقشة العامة قلصت، وتوجيه اللوم والنقد ممنوع، فما هو اذن دور النواب ..؟" ، وسؤال آخر: "لماذا يراد منا أن نراعى مشاعر الوزراء فى حين نهمل مشاعر الشعب"، وسؤال ثالث: "مجلس النواب لم نعد نعرف جدوى استمراره هو اليوم يمثل السلطة التنفيذية اكثر مما يمثل الشعب، لماذا لا نكتفى حتى ولو من باب تقليص النفقات بالاكتفاء بمجلس الشورى" .. إنها تساؤلات فى الصميم ستظل تبحث عن اجابات واضحة، لا أجوبة مبهمة مطلقة!

نعم، ومئة نعم نتفق مع تلك التساؤلات والآراء التى تصدت للتعديل فى تلك الجلسة التى يمكن أن نخلص إلى أن مجرياتها تؤدى بنا الى خلاصة بأن الحقيقة صارت حقائق متنوعة، متصادمة هى أيضاً من فرط ما شهدناه تحت قبة البرلمان من محاولات المستعجلين من نواب على تفريغ العمل البرلماني من مضمونه بإهدار ما تبقى من صلاحيات، وكأنهم فى سباق لجعل حدود الممكن فى هذا العمل فى تراجع دائم تحت مبررات واهية لحد الاستهبال هى بالنهاية وباختصار تستصّغر عقولنا، والذين يحسنون القراءة بين السطور لا يمكن لهم تجاهل العلة والسبب، وهذا أمر قد يؤدى بنا الى نتيجة وهى أن الناخبين وبصراحة صارخة شركاء فى تحمل المسؤولية بخياراتهم التى أدت بنا من جديد إلى هكذا وضع وأداء برلماني يستحق الرثاء على واقع حاله، وعلى واقع أداء معظم نوابه!

لا ننسى أن ما جرى لا يختلف عما حدث فى فصول تشريعية سابقة حين وجدنا نواباً وهم يتنازلون فى مشاهد هزلية لا تنسى عن ارادتهم

لا ينبغي التهوين من ملف المتقاعدين وحقوقهم ومكتسباتهم، ويتوجب فتحه بكل شفافية وجرأة

أو "استرهانها"، فى أكثر من لعبة فضحت نفسها بنفسها، هى بالنهاية لعبة التواطئ على تمرير ما يراد تمريره للانتقاص من صلاحيات يفترض أن يتمتع بها أي مجلس برلمانى حقيقي، وكأن هناك من يريد الحيلولة دون بلوغ سن الرشد البرلماني، وجعل البرلمان يعانى البليّة والعجز ..! لا بأس أن نتمعن في التبريرات الواهية التي تستر بعضها النواب لتوضيح موقفهم من القبول بالتعديلات، فعلوا ذلك وكأنهم يكشفون المستور من حب وهيام هؤلاء النواب الغنيين عن التعريف – ولكل امرئ ما تعوّد من غايات وأهداف – والأمر أولاً وأخيراً هو افتراس لما تبقى للبرلمان من صلاحيات رغم كل "البهارات" التى تضمنتها هذه التبريرات كتلك التى ساقها بعضهم ممن وجدوا فى التعديل المزايا التالية:

– إنه تعديل عصرى يتواكب مع احتياجات الزمن !

– سيسهم فى تركيز النواب على الفكرة المطروحة والنقاط الجوهرية، ويجعل النواب بمنأى أن يكونوا ظاهرة صوتية!

– سيضبط انفعالات بعض النواب، ويحد من شغفهم المبالغ فيه للظهور أمام وسائل الاعلام لإرضاء الناخبين!

– سيوقف استفزاز الحكومة، ويوقف تجاوز النواب على الوزراء ومكانتهم السياسية !

تلك عيّنة من التبريرات الهزلية التى وردت ضمن "بازارات تبريرية" لم تقنع أحداً، ولكنها أقنعتنا أن هناك نواباً لا همّ لهم إلا التودد إلى السلطة التنفيذية والتعوّد على إغداق المديح والثناء والإشادة فى مواقف وتصريحات يطلقونها ناسين او متناسين أنهم كما هو مفترض يمثلون شعب البحرين وليسوا بمثابة موظفين لا يجيدون إلا التبرير والتأييد والإشادة بحنكة هذا المسؤول او ذاك الوزير.

نريد نواباً حقيقين، نواب مبادئ ومواقف، نواباً يهزون المقاعد من تحت الوزراء بأسئلتهم واستجواباتهم وآرائهم وأفكارهم ومواقفهم كممارسة ديمقراطية حقيقية تتبنى المناقشات الحرة، وتتقبل النقد وتعدد الأراء، لا نريد نواباً من ورق غير قادرين على الاعتراض أو المناقشة أو إبداء الرأي ويجيدون السير فى الطريق نفسه الذى سار عليه سلفهم من نواب استطابوا اعتماد سياسة النعامة، او لنقل نواباً يتولون بأنفسهم هزيمة أنفسهم، وبالنهاية هم عار على الديمقراطية.

الديمقراطية الحقة هى طريق حياة، وليس ثمة ديمقراطية هى سباق إلى العجز والمراوحة، وخيراً علينا أن نقرّ ونعترف أننا وحدنا المسؤولون عما نحن عليه من حال برلمانى بائس، ونحن وحدنا كنا المسبّبين المباشرين فى اعطاء الفرصة لمثل هؤلاء النواب ليمثلوا شعب البحرين، فهل هذا هو البرلمان الذى ناضل وضحى من أجله شعب البحرين؟

قاسم الحلال

خطوات تعيدنا إلى الوراء

حين يُكشف عن مظاهر الفساد في دوائر الشركات الكبرى التي تمتلك حصصاً شبيهة بالحصص الحكومية لا تمس بشفافية من قبل دوائر التفتيش، فإن البعض من المسؤولين يعتبرون ذلك مساساً بالديموقراطية، وهو تناقض غير طبيعي نسعى جاهدين في حركتنا الوطنية والتقدمية، وكذلك الوجوه الجادة في المجلس النيابي لإبرازه، لأنه يصب في الفساد ذاته.

إن التقارير التي تخرج في المجلس النيابي عن دوائر الفساد لا تجد طريقاً جدياً وصريحاً في الأخذ بمحتوياتها بصدقية، بل يتم التبرير والتستر عليها ومحاولة التهرب في الرد بطرق ملتوية، لكنها مكشوفة.

إن النواب الوطنيين في المجلس النيابي في نقدهم للسلبيات لا يهدفون تصيد الأخطاء كما تروج بعض الدوائر التي تتهرب من مسؤوليتها عن الفساد الذي يجري كشفه من النواب، بل إن هؤلاء النواب كثيراً ما يقفون إلى جانب الإيجابيات، ويشيدون بما يصدر من مواقف تدفع الأمور نحو الإصلاح والتطور.

لا يتم النجاح الديمقراطي في ظل تهرب القوى المتنفذة من المسؤولية وتخليها عن الجدية في الوقوف إلى جانب المجلس النيابي ونوابه الحريصيين كل الحرص على الثوابت الوطنية والدفاع عن حقوق من انتخبوهم، أما المواقف المتناقضة المكشوفة ومطاطية القوانين فما هي إلا خدمة للجشع والايتزاز بذرائع واهية لنهب المواطن بصورة سافرة متبعين مبدأ (ترك الحبل على الغارب).

إن عدم الوقوف إلى جانب الديموقراطية وقواها هو تعدّ على حقوق الناخبين الذين ينتظرون تلبية مطالبهم المعيشية لبناء مستقبلهم ومستقبل أبنائهم، وهذا ما دعا إليه المشروع الإصلاحي وميثاق العمل الوطني، وهو نفسه الذي يعزز ثقة الشعب بكافة شرائحه في المؤسسات الديمقراطية والتي بدونها لا يمكن التطور الاقتصادي والسياسي.

اخيراً نقول إن عدم الالتفات لهذا التهرب يرجع ديمقراطيتنا إلى الوراء بعد أن حققنا خطوات مهمة من التطور على طريق إرساء مجتمع متطور يسير إلى الأمام، ما يتطلب الحفاظ على ما تحقق من منجزات والسعي إلى تطويرها، خاصة في الظروف الصعبة التي سببها وباء (كوفيد 19).

إيران في بؤرة استراتيجيات القوى العظمى

قيل قديما: «الجار قبل الدار». هذا بالنسبة لاختيار الإنسان مكان سكناه، أما الجيرة بين الدول فهي معطى جغرافي طبيعي، لا خيار فيه، ووجب التعايش معه. وإذا كنا قد أوصينا على سابع جار، فهو بالنسبة لدول التعاون الخليجي إيران بعد العراق الشقيق. غير أن العلاقات مع إيران بأبعاد استراتيجية هي عقدة العقد ليس فقط بالنسبة لبلدان التعاون الخليجي، بل وبلدان العالم الأخرى، وخصوصا القوى العظمى. والسبب بسيط، كما هو معقد للغاية: في إيران تتشابك وتتضارب استراتيجيات القوى العظمى بالنسبة لمستقبل العالم برمته. ولشعورها بأهميتها في مستقبل الاستثمار الاقتصادي الاستراتيجي تزداد لدى إيران طموحات الزعامة الإقليمية واعتبارها لذاتها ضامن الأمن الإقليمي وند القوى العظمى.

عبد الجليل النعيمي

ونعني بالقوى العظمى ما اصطُلِح على تسميته بـ"الإمبراطوريات" الأربع: أميركا، الصين، الاتحاد الأوروبي وروسيا، وبتسمية أخرى دول (1+5)، أي الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس أمن الأمم المتحدة + ألمانيا (قاطرة الاقتصاد الأوروبي)، التي خاضت المفاوضات مجتمعة قبالة إيران وتوصلت معها في 14 يوليو 2015 إلى "خطة العمل الشاملة المشتركة"، التي عرفت بـ"الاتفاق النووي". سبقت هذا محاولات مضنية منذ عام 2002، بعد أن نجحت إدارة الرئيس بوش في إشراك طهران في القضية الأفغانية. لكنها توقفت مرارا بسبب اختلاف مواقف الطرفين، بما في ذلك توقف العمل باتفاقية باريس 2004 بعد تولي الرئيس أحمدي نجاد منصبه عام 2005 والعودة إلى تخصيب اليورانيوم عام 2006. أما بعد أحداث «الربيع العربي»، ثم ظهور «داعش» وأخواتها تداعت الأطراف مجددا إلى التفاوض مع إيران، ما تمخض عن اتفاق 14 يوليو 2015.

ويدرك الجميع أن ليس البرنامج النووي الإيراني، ولا حتى أمن دول المنطقة الداخلي، هو أصل الموضوع. البرنامج النووي (السلمي) هو مشروع قومي إيراني بدأ في عهد الشاه. وقد قدمت الولايات المتحدة مساعدة فنية لتطوير البرنامج النووي الإيراني الذي أطلق عام 1960. حينها اعتبرت إدارتا نيكسون وفورد إيران «المدافع الأساسي» عن المصالح الأميركية في الشرق الأوسط. ومنذ العام 2015 توقع كثير من الاستراتيجيين أن «خطة العمل الشاملة المشتركة» ستحوِّل إيران إلى قوة إقليمية ناشئة، ستصبح فيما بعد جوهر تشكيل الاستراتيجيات الاقتصادية والجيوسياسية للقوى العظمى.

طبيعي أنه عندما تجلس القوى العظمى على مائدة تقاسم النفوذ في منطقة ما من العالم، فهي لن تدعو إلى المائدة دول المنطقة – موضوع الاقتسام. فيما عدا إيران، التي يدرك الجميع أن التفاوض معها يشكل المفتاح إلى هذا التقاسم، بل وإلى صياغة استراتيجيات عالمية بمديات مكانية وزمانية بعيدة. وتدرك إيران جيدا أنها، رغم الإنهاك الذي أحدثه الحصار الاقتصادي، تمتلك كل المقومات للإنتقال من حالة المستهدَف إلى حالة الشريك الفاعل.

خلال العقدين الأخيرين أخذت أميركا تنظر إلى الوضع في الخليج على أنه يقرر الكثير بالنسبة لمستقبل تشكيل الفضاء الاستثماري ليس في الشرق الأوسط وحده، بل وكل العالم. وقد أدارت لعبة واضحة لهدم مأسسة التنظيم القطاعي في المنطقة بضرب «أوبيك» كأهم مؤسسة من هذا النوع. ومن الجهة الأخرى عملت للإبقاء على هيمنة الدولار في تداول عائدات النفط والغاز باعتماد كبير على المؤسسات الاستثمارية والحسابية الأميركية. وظل التوتر الأمني الناشئ في منطقة الخليج مُوجَّه ويُستخدم من أجل الحيلولة دون، أو على الأقل إبطاء، تشكل «نواة» نظام استثماري – حسابي يقع خارج «الفضاء الدولاري»، على قاعدة العائدات النفطية لدول المنطقة، والحفاظ على القنوات التقليدية لاستنزاف القدرات الاستثمارية من اقتصادات بلدان المنطقة. ويفترض المشروع الأميركي للنظام الاستثماري الاقتصادي الاستراتيجي للمنطقة اعتبار إيران مركزا له. وفي كل النقاشات الدائرة فوق الطاولة أو تحتها يركز كلٌ من الطرفين على تحقيق مكاسب أكثر.

وقد ظل الصراع الأميركي – الأوروبي حول إيران موجودا، لكنه تَبدَّى أكثَر وضوحا في عهد الرئيس ترامب الذي حدد هدفه بصرامة – إزاحة رأس المال الأوروبي من كل القطاعات الهامة في الاقتصاد الإيراني – بل وحتى إدراج الموارد الاستثمارية الإيرانية ذات العلاقة بتصدير النفط في النظام المالي الممركز أميركيا، وإلا ففصل هذه الموارد كلية من التداول النشط.

وفي حين عجزت أوروبا عن الدفاع عن مصالحها خصوصا ما يتعلق بحاجاتها لمصادر الطاقة في إيران، وعجزها عن تطوير هذه المصالح، بسبب تبعيتها للسياسة الأميركية، فإن روسيا والصين في موازاة سريان «الاتفاق النووي»، ثم انسحاب ترامب ثم عودة بايدن إلى المفاوضات بشأنه، عملتا بنشاط على تطوير استرتيجياتهما الخاصة في العلاقات الاستراتيجية مع إيران. وقد وجد ذلك تعبيره في تطور التعاون الروسي الإيراني الفعال في مجال الصناعات العسكرية والصاروخية والفضائية والتكنولوجيات المختلفة وفي أسواق النفط والتبادل التجاري، إضافة إلى التعاون العسكري والأمني في سوريا ومناطق أخرى.

الصين رأت نفسها فائزًا محتملاً في «الاتفاق النووي» مع إيران. فهو يوفر لها فرصة للمناورة ليس فقط باعتبارها أكبر مستورد للنفط وشريك تجاري واستثماري، طامح إلى تطوير مشاريع البنية التحية في إيران، ولكن أيضًا باعتبارها أكبر فاعل وشريك إقليمي في مجال السياسة الأمنية. وكان أشد ما تخشاه الصين، وتحاول منع وقوعه، احتمالان : حرب أميركية إيرانية تغلق الطريق أمام إمدادات النفط إلى الصين، أو تحالف أميركي إيراني قوي يشكل تهديدا للشركات الصينية الراغبة في الاستثمار في إيران. من هنا كانت السياسة الصينية الحذرة بين مسايرة المواقف الأميركية ومراعاة المصالح الإيرانية. لكنها عززت علاقاتها التجارية مع إيران، فساعدتها في تخفيف الضغط الاقتصادي في فترة العقوبات. وفي حين لا تشجع الصين تطوير أسلحة نووية في إيران، إلا أنها ترى في تزايد قوتها إمكانية للحد من النفوذ الأميركي في المنطقة.

في الوقت ذاته عمل الطرفان بعد توقيع «الاتفاق النووي» على إعداد وثيقة معاهدة بينهما تمتد لربع قرن تحت إسم «برنامج التعاون

الشامل» الذي تم التوقيع عليه أواخر شهر مارس 2021. وهو الآن بالنسبة لإيران أهم بما لا يقاس من «الإتفاق النووي» ذاته. يربط البرنامج الماضي بالحاضر إذ ينطلق من كون كل من البلدين يشكل «حضارة آسيوية قديمة»، وأن هذه الوثيقة هي «فصل جديد في مجال العلاقات بين الحضارتين الآسيوتين العظيمتين» في مختلف المجالات في إطار مبادرة «طريق الحزام». وهذا الربط إذا يؤكد على القواسم المشتركة فإنه يحترم الخصوصيات ويؤكد على علاقات سيادية متكافئة. وينص على اعتبار «كل منهما شريكا استراتيجيا» للآخر على أساس «المصالح المتبادلة والربح المتساوي». وبما أن البرنامج هو في إطار «طريق الحزام» فيفترض فيه مبدأ المنفعة المتبادلة المتساوية مع جميع الدول التي ترتبط مباشرة بهذه المبادرة وذكرتها الوثيقة بالإسم (أفغانستان، تركيا، ذربيجان، باكستان، العراق وسوريا)، بما يعني انتقال تأثير وتطبيق هذا المبدأ من الإطار الثنائي إلى القاري من الصين إلى غرب آسيا إلى شرق المتوسط، وفي ذلك بُعدٌ جيوسياسي بالغ الأهمية.

وامتاز البرنامج بشموليته لجميع القطاعات الإنتاجية والخدمية والاجتماعية والنشاطات الدينية والترفيهية والسياحية والنشاطات المعرفية المدنية والعسكرية والأمنية والقضائية ومشاريع البنى التحتية في معظم المرافق الإيرانية في البر والبحر. وجرى التأكيد على البحث والتطوير التكنولوجي المتقدم والاتصالات السلكية واللاسلكية والتعاون المالي والاقتصادي والتجاري وتنمية الطاقات البشرية والمؤسسية في معظم قطاعات الاقتصاد الإيراني. برنامج بهذه الشمولية، إن تم التغلب على تحديات تنفيذه، فسينقل الاقتصاد الإيراني إلى آفاق تنموية متقدمة، بحيث تحتل إيران دورا مركزيا في مبادرة «طريق الحزام». ولا شك أن ما تتمتع به الصين من احتياطات مالية هائلة تؤمن عنصر اليقين في تمويل تحقيق هذا البرنامج وبمعزل عن عملة الدولار الأميركي. وبهذا أيضا لن تتحول عائدات النفط إلى «فوائض» مالية، بقدر ما تتجسد مباشرة في برامج تنموية مادية وخدمية وثقافية وتطويرية لراس المال البشري وتعظيم قدرات الدولة.

ولا شك أن برامج طموحة بهذه المديات الاستراتيجية تحتاج إلى استتباب الأمن والسلم في المنطقة. وبديهي أن الصين معنية إلى حد الحساسية بعلاقات سعودية – إيرانية تحول دون نشوء أي صدام، إذ أنها مستورد أساسي للنفط من البلدين كليهما. ولذلك تدعم الصين بقوة المشروع الروسي (السوفييتي الأصل منذ الثمانينات) لتحويل الخليج إلى منطقة سلم وتعاون من أجل التنمية. هذا المناخ تحتاجه جميع دول المنطقة التي ضاعت عليها فرص تاريخية كبيرة لاستثمار «فوائضها» المالية التي استنزفتها أخيرا التقلبات الحادة في أسعار النفط والأزمات المالية والاقتصادية والتوترات الأمنية والحروب وجائحة فيروس كورونا.

سيبقى التعامل ليس سهلا مع إيران كدولة تحمل مستقبلا بالمعنى الاستراتيجي العالمي، بغض النظر عن نظامها الاجتماعي السياسي القائم. لكن مسار المفاوضات حول «الاتفاق النووي» وفي العلاقات مع أوروبا وروسيا والصين يبين أن الجانب الأيديولوجي، بما في ذك تصدير الثورة الإسلامية، ليس هو المكون والمحرك الوحيد في السياسة الخارجية الإيرانية. فالجانب الأيديولوجي يسبقة الشعور بالتهديد الخارجي المحفز للتهديد الداخلي، والذي يمثله الوجود العسكري الأميركي في المنطقة. ويُقدر بعض الخبراء أن الولايات المتحدة لم تعد قادرة على دعم تواجد عسكري دائم في المنطقة ارتباطا باستراتيجيات عسكرية في مناطق أخرى، وخصوصا بحر الصين. وعاجلا أم آجلا فسيتراجع الوجود العسكري الأميركي كثيرا في المنطقة، ما سيساعد على جعل توافق بلدان المنطقة على الأمن الإقليمي أكثر ضرورة وأكثر منالا. المكون الذي لا يقل أهمية والدائم في السياسة الخارجية الإيرانية هو الدولة القومية بحضارتها الفارسية التي تبحث دائما عن اعتراف بمكانتها كقوة فاعلة في الشرق الأوسط. وهنا يتراجع الجانب الأيديولوجي لمصلحة المساومات التاريخية مع الشركاء الدوليين والإقليميين. فقد أظهرت إيران استعدادا للتراجع عن التزاماتها الأيديولوجية الخارجية في سبيل تعزيز مصالحها الجيوسياسية. فهي، مثلا، تدعم أرمينيا المسيحية وليس أذربيجان الشيعية. كما امتنعت عن دعم الحركات الإسلامية في آسيا الوسطى لتلافي استياء روسيا. وتسعى الصين إلى التعاون مع إيران في مسائل أمن آسيا الوسطى، بما يعنيه ذلك ما يتعلق بالأنشطة الإنفصالية الموجهة للمجتمعات المسلمة في مقاطعة هينيانغ وأمن الحدود الصينية الباكستانية والصينية الأفغانية، وكذلك كشمير.

ومن العوامل المؤثرة على السياسية الخارجية الإيرانية توازن مراكز القوى في هذا البلد. في كل الحالات تبقى الكلمة الفصل للمرشد الأعلى في جميع قضايا السياسة الخارجية. وهو ينطلق من لازمته المتسقة وعنوان كتابه «أنا ثوري ولست دبلوماسي»، خصوصا عندما يتعلق الموقف بأميركا. بكلمة، هو أقرب إلى مراكز القوى المتشددة، ولكنه يأخذ في النهاية مواقف القوى «الإصلاحية» بعين الاعتبار. يميل «الإصلاحيون» عادة إلى التركيز أكثر على تنفيذ الإصلاحات المحلية بدلا من التغييرات الجذرية في السياسة الخارجية. ولا شك أن السياسة الخارجية الإيرانية تتأثر بشدة بمن هو في الحكم في المقطع الزمني المعني. والاحتمال الأكبر بأن يصل المتشددون إلى السلطة في الانتخابات خلال الشهرين القادمين. غير أن التجارب والزمن وارتقاء الاستراتيجيات في التعامل مع العالم الخارجي كفيلة بإضفاء نوع من البراغماتية على سياسات الحكومة القادمة.

أخذا بعين الاعتبار تفاعل هذه المكونات الأساسية في السياسة الخارجية الإيرانية تستطيع دولنا في مجلس التعاون الخليجي رسم استراتيجية بناء للتعامل مع جميع القضايا الخلافية مع إيران، من حيث حسن إدارة الخلافات أولا، ثم العمل على حلها على أساس توازن المصالح والمصالح المشتركة.

إن ما يجري من تحضيرات لمستقبل منطقة الخليج أشبه بانزياحات جيولوجية تحدث تحت سطح الأرض، وستكون بمثابة إرهاصات لإحداث تغييرات كبرى على مستوى الاستراتيجيات الدولية والتطورات الإقليمية. ويجب أن تستعد بلداننا منذ الآن لاستنفار كل مصادر قواها الداخلية من تعبئة موارد وخلق مناخات اجتماعية سياسية ديمقراطية صحية وعدالة اجتماعية في توزيع الثروة وإعادة العافية لكامل مجلس التعاون الخليجي كتنظيم إقليمي، وذلك من أجل ضمان التعامل مع الإقليمي والعالمي كشريك قوي، فاعل حقا، لا شريك تابع.

(قف)

السودان وفصل الدين عن الدولة

وقعت الحكومة السودانية في مارس /أذار الماضي وثيقة اعلان مبادئ مع الحركة الشعبية لتحرير السودان لتمهيد الطريق امام إبرام اتفاق نهائي للسلام من خلال ضمان حرية العبادة للجميع وفصل الدين عن الدولة.

اتفق الطرفان على العمل لتحقيق سيادة السودان واستقلال ووحدة أراضيه، وبناء جيش مهني موحد. كما اتفقا على أن السودان بلد متعدد الأعراف والديانات والثقافات، لذلك يجب الاعتراف بهذا التنوع وإدارته ومعالجة مسألة الهوية الوطنية، وأكدا على تأسيس دولة مدنية ديمقراطية فيدرالية، تضمن حرية الدين والممارسات الدينية لكل الشعب السوداني وذلك بغض النظر عن الهويات الثقافية والإثنية والجهوية عن الدولة.

فهد المضحكي

فصل الدين عن الدولة والسياسة يعني احترام الدين وقيمه الروحية، ويعني ايضاً حماية الدين والعقيدة من العابثين

تذهب بعض التحليلات إلى أن مسألة فصل الدين عن الدولة ليست محل جدل في بلد مثل السودان في الوقت الراهن، وذلك لسبب بسيط هو أن المواطن السوداني أدرك بأنه لا يمكن أن تستخدم النصوص الدينية لاستقطاب الناس العاديين، ولاستنزاف الموارد وأن تكون مصدراً للترويج الإعلامي، وتشويش شخصية الإنسان. فالدين جزء من ثقافة المجتمع وتقاليده وأعرافه، كما أن التنوع في الثقافات أسهم في وجود تنوع عند تناول قضايا الدين.

مقابل ذلك رفض الاتحاد السوداني للعلماء والأئمة والدعاة فصل الدين عن الدولة، متهماً رئيس مجلس السيادة عبد الفتاح البرهان ب»تجاوز حدود ما أنزل الله». وحينما نتحدث هنا عن العلمانية يمكن القول لا يبدو الأمر بهذه السهولة، باعتبار أن قضية العلمانية والجدل حول هوية الدولة من أكثر القضايا الشائكة، والتي عادة ما يثار انقسام حاد حولها، فهذا الجدل رافق السودان منذ ستينيات القرن الماضي وتسبب بأزمات وصراعات وانقلابات، ودخلت أطراف عربية ودولية على خط التجاذبات الداخلية.

عندما يقال إن العلمانية تقضي على الحروب الدينية وتزيل مسبباتها لآنها تضمن لكل انسان ممارسة نشاطه العقدي يقصد من وراء ذلك أن الدولة لن تتدخل، بل تضمن لكل انسان مزاولة معتقده، فالعلمانية ليست كما يروج لها تجار الدين بأنها ضد الدولة، وإنما هي ضد استغلال الدين.

ومن هنا تكتسب قضية فصل الدين عن الدولة أهمية خاصة في أي مجتمع من المجتمعات، وخاصة تلك التي ما تزال يسيطر عليها الفكر العقائدي، ويكتسب فيها رجال الدين دوراً مبالغاً فيه، مستفيدين من مفهوم القداسة الذي تكتسبه الشرائع الدينية، هذه القداسة التي تسحب من الشرائع ليرتديها الافراد، وبذلك تنتقل سلطة الله إلى سلطة الافراد مما يخلق تعارضاً بين ما هو دنيوي وما هو إلهي، وتسخير الشريعة لخدمة الحاكم، ما يؤدي إلى شكل عميق من الطغيان والاستبداد سينعكس على مقومات الدولة، وحتى سينعكس على مفهوم الديانات بالوقت نفسه.

العلمانية مفهوم ليبرالي يشير إلى فصل الدين عن الدولة، والمجتمع المدني عن المجتمع السياسي، بمعنى ألا تمارس الدولة أي سلطة دينية، وألا تمارس الكنيسة والجامع والمعبد أية سلطة سياسية أيضاً، وربما هذا التعريف منطلق من المقولة الشهيرة التي صاغها محمد عبده: «لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين» وكذلك مقولة سعد زغلول الشهيرة «الدين لله والوطن للجميع».

ولكن هل يعني فصل الدين عن الدولة تنحية الدين عن الحياة الاجتماعية؟ بالطبع لا، فالدين تاريخياً واجتماعياً هو أهم المكونات الهامة للقيم والشعائر والطقوس التي تنظم شئون الحياة الاجتماعية والدينية.

إن فصل الدين عن الدولة والسياسة يعني احترام الدين وقيمه الروحية، ويعني ايضاً حماية الدين والعقيدة من العابثين بهما وعدم السماح باستغلال الدين والشعائر والطقوس من أجل اشباع المصالح الخاصة وبصورة خاصة من تسلط وعاظ السلاطين على رقاب الناس عن طريق رفع شعارات «دينية» لاستغلال عواطف الجمهور، وإقحام الدين في السياسة يهدف دوماً إلى تحقيق مكاسب سياسية واقتصادية وإقصاء الآخر.

صحيح أن الاتفاق بشكل خطوة بالنسبة لمستقبل السودان، ولكن هذا لا يعني أن كل العقبات أمامه قد انتهت، أو سوف تنتهي في المستقبل القريب، لأن ثمة إشكاليات لا تزال تمثل منغصاً أمام الاتفاق بينها. كما تَردد في الصحافة السودانية فإن «تحالف الحرية والتغيير» الذي يضمّ قوى مختلفة ليس على وفاق تام حول هذه القضية، والثانية تخص المؤسسة العسكرية التي تبدو قيادات نافذة فيها بمثابة «الحرس المؤتمن» على الشريعة، والمعضلة الثالثة تتجسد في وجود حركات إسلامية متشددة في دارفور أو غيرها، ربما تجد مبرراً في خروجها إذا احتل فصل الدين عن السياسة الواجهة السياسية وما يترتب على ذلك من توتر يجرف معه ما تحقق من تقدّم على مستوى السلام، ويعيد البلاد إلى أجواء التجاذبات والانقسامات بين الإسلاميين وغيرهم.

الخلاصة باختصار، إن فصل الدين عن الدولة بقدر ما هو مهم لخلق الدولة الحديثة، دولة المواطنة والقانون، سيكون مهماً أكثر للحفاظ على العقائد الدينية بعيدة عن استثمار الساسة.

إن أهمية الاتفاق، كما عبر مؤيدو فصل الدين عن الدولة تكمن في أنه للمرة الأولى في تاريخ السودان يحصل اجماع حول هذه القضية، لأنها تمهد الطريق أمام سودان جديد...سودان يضع خطواته الأولى على طريق الديمقراطية.

من منظور تشومسكي

انشغالات المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي البحثية والفكرية هي من الإتساع والتنوع بحيث يصعب تغطيتها في مقابلة واحدة معه، أو في كتاب واحد عنه، فهو عالم لغويات مرموق، تعدّ مؤلفاته مرجعاً أساسياً في دراسة هذا العلم، وهو فيلسوف إليه يعود فضل كبير في إحداث تغيير مناهج البحث في العلوم الإنسانية، خاصة بسبب انخراطه في مناقشات وسجالات مع أبرز الاسماء المشتغلة بهذه العلوم.

وهو إلى ذلك كله منخرط في الشان السياسي، منافحاً عما يؤمن به من قيم وأفكار، تتصل بالعدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة، والدفاع عن دور الدولة كمظلة للرعاية الاجتماعية، كما تتصل بضرورة قيام نظام دولي مختلف. وهو في هذا يذكرنا بإدوارد سعيد، ومن هم على طرازه من المفكرين والناشطين.

ذكر تشومسكي أنه على خلاف أزمة 2008، التي يشف منها اقتصاد العالم حتى هذه اللحظة، فإن الاكتفاء بضخ أموال إلى أسواق البورصة لن يحلّ المشكلة، وأنه آن الأوان لتأسيس نظام اقتصادي جديد قائم على توفير الوظائف للناس، وصون البيئة المحيطة من المخاطر المحدقة بها، وإيجاد بيئة اجتماعية مختلفة عن السائدة، وإلا فإن المسافة بيننا وبين شروط النجاة ستظل شاسعة، وكأن لسان حاله يقول إن ما سيترتب على الجائحة يمكن أن يجهز على ما تبقى من تدبير اقتصادي راهن على علاته.

لا يوافق تشومسكي على أن كافة قطاعات الاقتصاد قد تضررت من جائحة كورونا. هنا أيضاً تبدو التمايزات الطبقية حادة وصارخة، ففي حين فقد الملايين وظائفهم سواء كان ذلك في الولايات المتحدة نفسها أو في أوروبا أو القارات الأخرى، فإن شركات عملاقة مثل "أمازون" حققت أرباحاً بليونية في ظروف الجائحة، مستفيدة من الخدمات التي آلت إليها أمام تراجع قطاعات اقتصادية أخرى، فكأننا إزاء ما وصفه تشومسكي ب "أرقام قياسية للفقر.. أرقام قياسية" للربح".

النظام الاقتصادي الجديد الذي يدعو إليه تشومسكي يتطلب إعادة النظر في فلسفة التنمية، بالكف عن هدف: الربح وليس الحاجة، وأن تصبح غاية التنمية تلبية حاجات الناس، لا الإكتفاء بتحقيق الأرباح.

ح. م

الجولاني في البذلة

د. حسن مدن

رغم مرور أسابيع على الحوار الذي أجراه الصحفي الأمريكي مارتن سميث مع زعيم «هيئة تحرير الشام» (النصرة سابقاً)، أبو محمد الجولاني، ما زال هذا الحوار مثار نقاش وجدل، من عدة جوانب.

أكثر ما لفت الأنظار في أمر هذا الحوار هو الصورة التي نشرها سميث وتجمعه مع الجولاني، حيث ظهر فيها الأخير مرتدياً بذلة وصفها البعض بالأنيقة، حاسر الرأس، محاولاً لفت الأنظار إلى مظهره الجديد، المخالف للمظهر الذي عرفه العالم به أول مرة، مرتدياً سروالاً من ذاك الذي عرف به مقاتلو "القاعدة و"طالبان" في أفغانستان، وواضعاً على رأسه عمامة كتلك التي كان أسامة بن لادن أو أيمن الظواهري زعيما القاعدة يضعانها على رأسيهما.

المراقبون راوا في الأمر رسالة سياسية المحتوى، وبالمناسبة فإن الجولاني الذي سبق له أن استبدل العمامة "الأفغانية"، بغطاء رأس عربي منذ أن اعلن قطع ارتباط تنظيمه ب"القاعدة"، وغيّر اسمه إلى "هيئة تحرير الشام" بديلاً ل"النصرة"، أراد بمظهره الجديد في صورته مع سميث، أن يقدّم نفسه بوصفه رجلاً منفتحاً، راغباً في الوصول إلى تفاهمات مع الأمريكان والغرب، بشأن الملف السوري الشائك، يُمكّن تنظيمه، في أي تسوية محتملة.

ما أثار الانتباه أيضاً في أمر هذه المقابلة هي أنها أجريت في إدلب، معقل الجولاني، والتي يسيطر تنظيمه عليها وعلى محيطها، ولم يمنع ذلك كون الجولاني مصنفاً في قوائم الإرهاب، ومطلوب القبض عليه، بل إن مكافأة مالية مجزية رصدت لكل من يدّل على طريقة للوصول إليه، ما يطرح سؤالاً عما إذا كان هناك ضوء أخضر أعطي لمارتن سميث من جهات أمريكية مسؤولة بإجراء الحوار، برغبة "تسويق" الجولاني سياسياً، كزعيم له نفوذ على الأرض، بالتزامن مع مجيء إدارة بايدن، التي سيكون لها نهج مختلف في إدارة الملف السوري، سيؤدي إلى إطالة الأزمة وزيادتها تعقيداً.

ثمة مؤشرات، إن في محتوى الحوار المذكور، أو في ظروف ومكان إجرائه،على أن الجولاني التقط الرسالة، وأنه يجهد لتبديد الصورة المأخوذة عنه كزعيم لتنظيم إرهابي عنيف ودموي، أصولي التفكير، لتحل معها صورة بديلة كزعيم سياسي، وحتى مدني، براجماتي المنهج، قابل لأن يكون طرفاً في مساومات وتسويات، تمنحه دوراً مقبلاً يتجاوز دور زعيم تنظيم مسلح منبوذ دولياً.

واشنطن خير العالمين أن خلع العمامة واتداء البذلة غربيّة الطراز، لا يجعل من تفكير من قام ذلك مدنياً، ولا يغير من جوهر وطبيعة البرنامج السياسي – الفكري الذي يتبناه، وإن الجولاني سيظل هو نفسه، لكنها حسابات السياسة وألاعيبها، فالأمر لا يعدو كونه "إعادة تأهيل" للجولاني كي يكون جاهزاً لأي دور محتمل في المرحلة القادمة، و"إعادة التأهيل" هذه لا تشمل طبعاً "غسل دماغ" الجولاني المتطرف والأصولي والمصنف بالإرهابي، إنما تنحصر في إلباسه البذلة الغربية، وخلع العمامة، أمام الكاميرا على الأقل، وإفهامه أن يُظهر ما هو مطلوب من "مرونة" فقد تكون "رجلنا" القادم، أو "تعشيمه" بدور ينتظره إن هو أحسن الأداء المطلوب عنه.

هل يطابق حساب الحقل حساب البيدر هذه المرة؟. علينا أن ننتظر ونراقب، فلعلّ الإجابة قادمة بعد حين قد يطول وقد يقصر تبعاً للمسار الذي ستسير عليه الأمور، وهي لا تسير بالإرادة الأمريكية والغربية وحدها، فعلى الأرض السورية تتبارى الإرادات وتتصارع، والتوازنات هناك شديدة الدقة والحساسية بحيث لا تجعل من الأمريكان وحلفائهم هم اللاعب الوحيد، وبالتأكيد لن يكون الحاسم.

يسارنا بحاجة إلى ثورة ثقافية!

هشام عقيل

إلى حد الآن، كُل ما قام به اليسار البحريني هو نقد مظاهر الإنتاج الرأسمالي الكولونيالي في البحرين، بينما المطلوب منه تغييره. إلى حد الآن، كُل ما قام به هذا اليسار هو حمل هذا النقد من دون خطة، دون وجهة، دون مستقبل؛ أنه لم يحمل نقده إلى آخر مداه، ايّ إلى استنتاجاته النهائية وهو ضرورة التحويل البنيوي للأسس المادية للعلاقات الإنتاجية الرأسمالية نفسها.

إن الحركات السياسية، ولا سيما الأحزاب، تُقاس من برامجها السياسية؛ ولكن البرنامج السياسي لا يُمكن أن يقول للجماهير ما عليها أن تقوم به، بقدر ما الجماهير لها القدرة على أن تكون دائماً متقدمة بخطوة. ولما كان قياس أي حركة سياسية يأتي من برنامجها السياسي، إذن لن يختلف أحد معي بأن اليسار القائم لا يمت بصلة للاشتراكية.

اليسار لا يتحدد بحزب واحد أو جماعة واحدة، ولكنه بحاجة إلى حزب اشتراكي قوي يفعل الحركة اليسارية ككل، ايّ يكون عاملاً من عوامل تصادف كل الأطراف السياسية التقدمية التي لها مصلحة في تقويض الرأسمالية.

سأذكرُ في المقالات القادمة لهذه السلسلة بعض المقومات السياسية والاقتصادية والآيديولوجية لوجود مطالب اشتراكية لعلها تنبه القارئ ببعض متطلبات وجودها في البحرين، دون أن أدعي بأن في حوزتي هذا البرنامج إذ أن ذلك سيعني فوراً وجود تنظيم اشتراكي حقيقي في البحرين؛ وهذا يخالف واقع الأمر.

لينتبه القارئ: الاشتراكية ليست دستوراً دينياً يتوقع أن يأتمر الناس به ويهتدي عبره؛ إنها ليست نظاماً جاهزاً ينتظر التطبيق متى ما سنحت الفرصة لذلك. على العكس، إنها الطريق الذي تسلكه الجماهير، النضال اليومي الذي تحمله، نحو التحرر من العمل المأجور ورأس المال؛ لذا فإنها – الجماهير– تبتكر حلولاً جديدة كل مرة، تحاول أن تفهم الظروف المحاطة بها، تتقدم بصراعات جديدة خلاقة لا يُمكن التنبؤ بها. اسم هذا الابتكار هو الاشتراكية، وغير ذلك لن نكون سوى أمام أجناس مختلفة من الطوباوية.

إذا كانت الاشتراكية لا تقدم شيئاً لصراع الطبقات الشعبية اليومي، فلا حاجة لنا بها!

إذا كانت الاشتراكية لا تستطيع أن تتحدث بلغة جديدة خلاقة، لغة الجماهير، فلا حاجة لنا بها!

على البرنامج الاشتراكي المنشود ألا يكون إصلاحياً، بل صريحاً في دعوته للقضاء على العلاقات الإنتاجية الرأسمالية الكولونيالية، وبالتالي فك الربط من المنظومة الامبريالية العالمية. لا يُمكن المساومة على هذا المبدأ إطلاقاً. لكن مشكلة أساسية تكشف عن نفسها هنا: كون الاشتراكية بحد ذاتها عملية طويلة الأمد تحتاج إلى وقت وصراعات فعلية لتحقيقها. فما العمل؟

كان الانتهازيون قديماً يؤمنون بتقسيم مطالب البرنامج الاشتراكي إلى مطالب إصلاحية صغرى ومطالب كبرى؛ وهذا تقليد علينا التخلي عنه تماماً. وعلى العكس من مبتدعي البرنامج الإنتقالي، وهو برأيي استراتيجيا تتضمن في البحث عن حالات مصغرة للسلطة– الثنائية والسبل نحو توسعتها لتكون حالة عامة (1)، أدعو إلى برنامج يكون كل مطلب فيه هو المطلب المصغر والنهائي في مثل الوقت. كل شيء يعتمد على هذه الحقيقة، إذ أن المطلب الذي قد يبدو إصلاحياً بحدّ ذاته يكشف عن نفسه، في صيرورته، كعامل من العوامل التي تؤدي إلى تقويض النظام الرأسمالي ككل، ايّ أنه حالما ما يكتسب وعياً سياسياً – وهذه هي وظيفته بالتحديد – لا بد أن يؤدي إلى ضرورة السيطرة الطبقية للبروليتاريا والطبقات الشعبية (سياسياً، واقتصادياً، وآيديولوجياً).

معنى ذلك هو: إن كان البرنامج الاشتراكي يحتوي على مطلب «مصغر» وآني، فإن هذا المطلب ما إذا تعمق في الصراع الطبقي الجماهيري بوعي حقيقي لا بد أن يؤدي، حتماً، إلى استنتاج نهائي يؤكد على ضرورة نهاية النظام الرأسمالي. إن المطلب الاقتصادي لا بد أن يكون في ذات الوقت مطلباً سياسياً، إن فصلنا الاثنين (وهذا ما يقوم به كل اليساريين في البحرين) سينتهي بنا الأمر بتعزيز الممارسة السياسية البورجوازية. إن لم يكن البرنامج الاشتراكي، ايا كان، مصمماً بطريقة يكون فيها الاقتصادي مرتبطاً بالسياسي، فإنه لا يعدو كونه برنامجاً إصلاحياً أو في أفضل الأحوال ما يسميه اليسار الشعبوي اليوم: الإصلاح الثوري، وهو ليس بثوري في حقيقة أمره.

لهذا السبب لم يعد من الممكن أبداً أن نتحدث عن إصلاح الرأسمالية، ولم يعد من الممكن أن نتحدث عن إصلاحات مصغرة هنا وهناك إلى أن يأتي اليوم المنشود، بل عن إصلاحات تمثل مواقع استراتيجية لتحويل العلاقات الإنتاجية الرأسمالية أو لقيادة هذا الانقطاع البنيوي.

لعلي أفكرُ هنا بما قاله كارلو كافيرو يوماً: «ليس ثمة وقت غير مناسب للتغيير»، (رغم أنني لا أشاطره منظوره الأناركي وراء هذه العبارة). لكنني لا أدعو إلى طراز جديد من الإرادية السياسية من حيث اقفز فوق الظروف الحقيقية والواقعية للصراع الطبقي. كما لا أدعو إلى إصلاحات كمية جزئية تفضي في نهاية المطاف إلى تحول نوعي، إذ إن ذلك فيه شيئاً من الانتهازية والطوباوية، لا وبل المثالية.

إنما ما أدعو إليه هو – كما أسلفت – الخوض في صراعات تشكل مواقع تحويل استراتيجي لنمط الإنتاج الرأسمالي، وهذه الصراعات بحد ذاتها تساهم في تشكيل الظرف الموضوعي العام لهذا التحويل، ايّ أنها تفتح الظرف الموضوعي العام للجماهير (ايّ، موضوعياً وذاتياً) في مواجهة الرأسمالية.

إنه من غير الممكن أن نتحدث عن برنامج اشتراكي من دون أن نضعه ضمن إطار الحالة الملموسة الراهنة، وهي الحالة التي تفرض علينا تطويق رأس المال الاحتكاري من كل جانب، أيّ تلك المنظومة الاقتصادية التي تمثل التحالف ما بين رأس المال الاحتكاري الكولونيالي ورأس المال الاحتكاري الامبريالي. إن واجب كل اشتراكي أن يدعو لذلك. ولا نعني بالتطويق كشيء من المقارعة أو المشاكسة بقدر ما نشير إلى تشكيل الظروف الموضوعية للتحول الاشتراكي. إن أهمية البرنامج الاشتراكي تكمن في أن الجماهير تصبح أكثر وعياً لظروفها المحاطة بها، ايّ لا تجابهها بالوعي الأيديولوجي اليومي بل بوعي سياسي حقيقي.

كُل إصلاح في المجتمع الرأسمالي لهو إصلاح بورجوازي، ايّ يعمل في إطاره. هذه حقيقة لا خلاف عليها. ولكن أيعني ذلك، تحديداً، بأن علينا نرفض أن نعمل من أجل كُل إصلاح لأن كله غير اشتراكي بشكله الخالص؟ إطلاقاً (2). سأوكد لكم هذه الفكرة، وسأقولها بدايةً، أن فكرة وجود اشتراكية خالصة هي هي الإصلاحية بالتحديد وهي – بحد ذاتها – تحريفية، إذ إنها تدفعنا لنفرق، في البرنامج السياسي للاشتراكية، ما بين (وهذا شيءٌ طرحته الحركة العمالية الأوروبية حينما كانت تحت سطوة هكذا نزعة، ايّ الأممية الثانية) المطالب الصغيرة أو الآنية، ايّ – صراحةً– البورجوازية الإصلاحية، وما بين المطالب الكبرى أو تلك التي تتحقق على المدى البعيد وحسب، ايّ الاشتراكية الخالصة المؤملة. ولكَ أن تسألهم، من يومنا هذا إلى ذاك اليوم.. ما العمل؟ سيجيبونك: نعمل على الإصلاحات شيئاً فشيئاً إلى قدوم اليوم المنشود. وهكذا، إن كانت لك الحنكة الكافية، تفقد كُل أملٍ في هكذا ساسة زائفين.

الوجهُ الآخر لهكذا تحريف هو الاعتزال السياسي الكامل، وأنا متأكدٌ بأن القارئ مثلما يستطيع أن يرى يساراً كالطراز الأول في البحرين أنه – بلا شك – يرى يساراً كالطراز الآخر هذا، فيحسبون بأنه لما كان كل إصلاح هو إصلاح بورجوازي، فما جدوى العمل عبره؟ أو اسوأ: ثمة طراز يخلط النزعتين فتجده يعتزل السياسة لأنه في بلد ليس ديموقراطياً بالمعنى الكامل؛ كما لو كنا، نحن

الاشتراكيين، نأبه بالديموقراطية البورجوازية! كما لو لم تكن ديموقراطيتنا هي ديموقراطية مجالسية!

القارئ سيتفق حتماً بوجود هذه النزعات في البحرين: من اليساريين الذين اعتزلوا اليسار كلياً، إلى الداعين بتبريد الماركسية في المبرد (رسمياً «التعويم الآيديولوجي»)، إلى اليسار البرلماني الذي لا يمت بصلة لتعاليم المذهب الاشتراكي العلمي (الاشتراكيون في الأقوال، اصلاحيون في الأفعال). لن يستطيع أي أحد أن ينكر هذه الحقائق ابداً.

إن تاريخ اليسار البحريني مليء بالإنجازات التي ينبغي على كل اشتراكي دراستها، وفهمها بالكامل، وإعادة تأريخها علمياً. لكن لتحقيق أي شيء يُذكر في الاشتراكية سيكون علينا أن ندعو إلى الانقطاع التام عن كل شكل يساري تقليدي الذي وجد في البحرين إلى يومنا هذا. بهذه الطريقة، ووحدها هذه الطريقة، سنظل أوفياء لهذا التاريخ. أقولُ الانقطاع عن الشكل أو التقليد لا الشخوص، إذ ندعو مثل اليسار ليفهم ما نورده في هذا النص، وبلا شك نسعى أن نضع يدنا بيده في حدود أنه يقبل بشكل عام ما نقوله. ولكن ليس من الممكن إطلاقاً أن يكون هناك يساراً حقيقياً وخلاقاً من دون أن يقوم على أسس نظرية علمية صلبة وممارسة سياسية بروليتارية.

إذن، اليسار البحريني بحاجة إلى ثورة ثقافية!

بلا شك، قد يتردد أمام هذه المهمة التاريخية، أمام الدعوة ليكون قرننا قرناً اشتراكياً، لكن سيكون عليه أن يتذكر كلمات دانتي: «لا تخف وأصعد عالياً، فإنك شجاع!».

الهوامش:

(1): هذا بالضبط ما آمن به إرنست مَندل حين قال حول الثورة البرتغالية في (الاستراتيجيا الثورية في أوروبا): ((نحن أمام بدايات السلطة–الثنائية، بدلاً من حالة عمومية لهذه السلطة–الثنائية... في هذا الوضع، إن الواجب الثوري للماركسيين هو تعميق، وتعميم، ومركزة هذه الهيئات القاعدية. لكن حين تطرأ تلك السوفيتات من دون أن تكون موجودة في كل مكان، فإننا نكون في حالة انتقالية ولا يُمكن أن نقول عنها بإنها تمثل «أزمة ثورية»)). من الواضح بأن هذه الفكرة خاطئة في حدود أنها تصور الدولة البورجوازية كما لو كانت تخلو من أية تناقضات داخلية، وكما لو كانت البورجوازية – وهذا تشخيص ماو للتقليد التروتسكي عموماً– تخلو من تناقضات داخلية. إنه– مَندل – ينسى أهم ما كتبه لينين بهذا الشأن وهو – في معناه – : الثورة لا تنشب إلا حين يتصادف عاملان، عدم رضا الجماهير بالوضع الراهن وعدم قدرة البورجوازية على الاستمرار في حكمها الطبقي (ايّ، حين تحتد تناقضاتها). هذه النظرة التي يمثلها مندل تنظر إلى جانب واحد من القضية، من حيث إنها تنظر إلى الثورة كما لو كانت تنشب فقط حين تكون الجماهير غير راضية عن الوضع الراهن؛ وهذا – بلا شك – موقع يسراوي في الفكر الاشتراكي.

(2): يقول لينين في (الماركسية والإصلاحية): ((على العكس من الأناركيين، يدرك الماركسيون ضرورة النضال من أجل الإصلاحات، أيّ تلك الإجراءات التي من شأنها تحسن من أوضاع الشعب العامل دون تقويض سلطة الطبقة المسيطرة. لكن في مثل الوقت، يشن الماركسيون أشرس هجوم ضد الإصلاحيين الذين، بشكل مباشر أو غير مباشر، يحصرون أهداف ونشاطات الطبقة العاملة في تلك الإصلاحات. الإصلاحية هي خديعة بورجوازية موجهة للعمال، إذ إنها تجعلهم – العمال – عبيداً لرأس المال اللهم بأوضاع أفضل— وهذا سيدوم بديمومة سيطرة رأس المال)).

منطق الخاشكيرية

جلال إبراهيم

يحكى أن في قديم الزمان عامل مهنته التدليك في الحمامات، حيث يجلس الزائر بين يدي المدلك لأكثر من ساعة، ولكي لا يشعر بطول الوقت يأخذ هذا الزائر بالحديث مع المدلك والذي يتسم بخبرة عالية في العديد من مجالات الحرف والفنون. وفي ذات يوم شكا أحد الزبائن للمدلك معاناته من ألم شديد في الظهر حرمه القدرة على النوم ولم ينفع معه أي دواء. قال له عامل الحمام: بالمناسبة لدي علاج بسيط جدا لألم ظهرك، خذ قليلا من الخاشكير ونقّعه في الماء ليلة كاملة وتناوله في الصباح الباكر!

شكر الزبون العامل على هذه الوصفة السريعة، وبعد قليل عاود الزبون الشكوى قائلاً: لا أدري إن كانت هذه من علامات الهرم والشيخوخة أم لا، فإن بصري ضعيف ويقول الطبيب أن عليَّ أن أرتدي نظارة وأنا لا أطيق النظارات ولا أدري ما أفعل، وخصوصاً أني أحب تلاوة القرآن. قاطعه المدلك بالقول: لدي علاج مجرّب لهذه المشكلة أيضاً، إذا عملت هذا ثلاث ليالٍ ستشفى إن شاء الله.

ولا يمرّ وقت طويل إذ بالزبون يجدد شكوى بعد أخرى، والعامل يصف له ذات العلاج. فما كان من الزبون بعد أن سئم من طريقة العامل إلا أن يغير مجرى الحديث، فقال: لقد تبدل نمط الحياة هذه الأيام، فلقد كنت أعيش حياة مرفّهة بأقل من هذه الأجور التي أتقاضاها اليوم، والآن ازدادت الرواتب والأجور، ومع ذلك فقد أصبحت أربط لحيةً بأخرى لأجل تمشية أمور المعاش دون جدوى وتراني أتهرّب ممن لهم عليَّ ديون ولا أكاد أخرج من داري!

قاطعه المدلك كعادته قائلاً: خذ قليلاً من الخاشكير ونقعه في الليل و... . هنا انتفض الزبون بوجه العامل صائحاً: ما هذا الدواء الذي يصلح لعلاج الظهر وضعف البصر وتسديد الديون؟!

في البحرين ابتلينا بفئة تفكر بهذا المنطق الخاشكيري! فئة من الصحفيين والإعلاميين والكتاب اعتادوا على اتهام غيرهم بالعمالة للخارج. فما من أحد البحرينيين يطالب بتحسين الأوضاع المعيشية أو انتقاد سياسة وزارة من الوزارات في سوء خدماتها للمواطنين، أو مطالبات من الشباب البحريني المتعلم بالحصول على وظيفة وعدم تفضيل الأجنبي عليه، أو مناشدات الحقوقيين بمراعاة من هم في مراكز التأهيل والإصلاح من #ايروس كورونا... مباشرة يتحرك الخاشكيريون ويرجعون سبب كل ذلك إلى أجندات خارجية وعمالة بحرينيين لها.

الوصفة جاهزة فهي تصلح للرد على كل من يخالف آراءهم وتوجهاتهم التي تتصف في حقيقتها بالحقد والأنانية، وهم في الواقع لا يحققون ذواتهم وأهدافهم إلا من خلال الأجواء المسمومة بالكراهية والطائفية.

من المؤسف أن أمثال هؤلاء الكتاب والصحفيين يتم إعطاؤهم مساحة واسعة في أشكال الإعلام المختلفة يسرحون ويمرحون في الإساءة إلى المواطنين أفراداً وجماعات ومؤسسات، من دون أي رقابة ومحاسبة لما ينفثونه من سموم ضد طبيعة المجتمع البحريني المتسامحة والمسالمة. ولا يخفى على أحد اعتماد هذه الفئة في خطابها على الطائفية ومفرداتها التي تدعو في الظاهر إلى الترابط المجتمعي والوحدة الوطنية، ولكن في حقيقتها تدعو إلى الإساءة إلى مكون أساسي في المجتمع البحريني، وإلى الصورة الزاهية للشعب البحريني من المحبة والسلام التي عُرف بها عبر التاريخ القديم والحديث.

إن البحرين في حاجة إلى ما هو نقيض لخطاب الخاشكيريون، إلى خطاب العقلانية والمرونة في إيجاد حلول للمشكلات السياسية والاقتصادية التي تؤدي حتماً إلى تقريب المسافات وتجسير الفجوات وتحقيق المنجزات.

تجديد النموذج الإشتراكي المثالي (١ - ٢)

بقلم: John Bellamy Foster

ترجمة:
غريب عوض

يجب أن تبدأ أيةُ مُعالجة جادة لتجديد الإشتراكية اليوم بتدمير الرأسمالية الخلاق لأُسُس كامل الوجود الاجتماعي. فَمُنذُ أواخر ثمانينيات القرن الماضي، انغمس العالم في حقبة رأسمالية الكارثة، التي عُرِفت بأنها تراكم كارثة وشيكة من كل الجوانب بسبب العواقب غير المقصودة لـ 'طاغوت رأس المال'. واليوم تتجلى رأسمالية الكارثة بهذا المعنى في تلاقي (١) الأزمة البيئية الكوكبية، (٢) الأزمة الوبائية العالمية، (٣) الأزمة الإقتصادية العالمية التي لا تنتهي. ويُضاف إلى هذا الشكل الرئيسي 'إمبراطورية الفوضى' الراهنة، بمافيها النظام المُتطرف للإستقلال الإمبريالي الذي أطلقتهُ سلسلة السلعة العالمية؛ وأفول الدولة الليبرالية الديمقراطية المستقرة نسبياً مع ظهور الليبرالية الجديدة والفاشستية الجديدة؛ وظهور عصرٌ جديد من عدم الإستقرار العالمي المُهيمن مصحوباً بمخاطر مُتزايدة لحرب غير محدودة.

وتمثّل الأزمة المناخية ما يُسميه الإجماع العلمي العالمي بأنهُ حالة «لا مثيل لها»، بحيثُ إذا لم تصل انبعاثات الكربون الصافية من احتراق الوقود الأحفوري إلى الصفر في العقود القليلة القادمة، فإنها ستُهدد وجود الحضارة الصناعية وبقاء الإنسان في نهاية المطاف. ومع ذلك، فإن الأزمة الوجودية بالنسبة للإنسان لا تقتصر على تغيّر المناخ، ولكنها تمتد إلى عبور حدود الكواكب الأخرى التي تُحدد معاً الصدع البيئي العالمي في نظام الأرض كمكانٌ آمنٌ للبشرية. وهذه تتضمن: (1) تحمُّض المحيطات؛ (2) إنقراض الأنواع (وإنتهاك التنوع الجيني)؛ (3) تدمير النُظُم البيئية للغابات؛ (4) ضياع الماء العذب؛ (5) تعطيل دورات النيتروجين والفوسفور؛ (6) الإنتشار السريع للعوامل السامة (بما في ذلك النويدات المُشعة)؛ و (7) الإنتشار غير المُنضبط للكائنات المُعدّلة وراثياً.

هذا التمزق للتخوم الكوكبية هو أمرٌ جوهري في نظام تراكم رأس المال الذي لا يعترف بأي حواجز لا يمكن التغلب عليها أمام تقدمه الكمي المُتسارع غير المحدود. ومن ثم لا يوجد مَخْرَج من التدمير الرأسمالي الحالي للظروف الإجتماعية والطبيعية الشاملة للوجود الذي لا يتطلب الخروج من الرأسمالية نفسها. والشيء المُهم هو إيجاد ما أسماه الفيلسوف الماركسي الهنغاري István Mészáros في كتابه «ما وراء رأس المال» بالنظام الجديد "التكاثر الأيضي الإجتماعي." وهذا يُشير إلى الإشتراكية على أنها الوريث الواضح للرأسمالية في القرن الحادي والعشرين، ولكن تم تصورها بطُرُق تتحدى بشكل حاسم نظرية ومُمارسة الإشتراكية كما كانَت موجودة في القرن العشرين.

استقطاب النظام الطبقي

في الولايات المتحدة، نجحت الآن القطاعات الرئيسة لرأس المال المالي الإحتكاري في تعبئة عناصر من الطبقة المتوسطة الدنيا من البيض في شكل أيديولوجية قومية عُنصرية وكارهة للنساء. والنتيجة هي تكوين طبقة سياسية فاشية جديدة ناشئة، مُستفيدة من التاريخ الطويل للعُنصرية البُنيوية الناشئة عن تركات العبودية والإستعمار الإستيطاني والعسكرة/الإمبريالية العالمية. وهذه العلاقة المُزدهرة للفاشية الجديدة بالتشكيل السياسي النيوليبرالي القائم بالفعل هي علاقة «الأخوة الأعداء» التي تتميّز بمُناورات شرسة على السُلطة مُقترنةً بقمع مُشترك للطبقة العاملة. هذه هي الظروف التي شكلت أساس ظهور قُطب العقارات في نيويورك والملياردير دونالد ترامب Donald Trump كزعيم لما يُسمى باليمين الراديكالي، مما أدى إلى فرض سياسات يمينية ونظام رأسمالي استبدادي جديد. وحتى لو فاز الفصيل النيوليبرالي للطبقة الحاكمة في الإنتخابات الرئاسية المُقبلة، فإن الإطاحة بترامب واستبداله بجو بايدن Joe Biden، وهو تحالُف نيوليبرالي فاشي جديد، يعكس الضرورة الداخلية للطبقة الرأسمالية، من المُرجح أن يستمر في تشكيل أساس سُلطة الدولة في ظل احتكار رأس المال المالي.

إن الظهور المُتزامن مع هذا التكوين السياسي الرجعي الجديد في الولايات المتحدة هو حركة صاعدة للإشتراكية، ترتكز على أغلبية الطبقة العاملة والمُثقفين المُنشقين. لقد أدى زوال الهيمنة الأمريكية ضمن الاقتصاد العالمي، التي سارعت وتيرتها عولمة الإنتاج، إلى تقويض الأرستوقراطية العمالية المُرتكزة على الإمبريالية بين بعض الفئات المُتميّزة من الطبقة العاملة، مما أدى إلى عودة الإشتراكية. في مواجهة ما أسماه زميلُنا Michael D. Yates بـ "اللامُساواة الكُبرى"، يواجه عددٌ كبير من السُكان في الولايات المتحدة، وخاصة الشباب، احتمالية تضاءل المستقبل المُبشر بالخير، ويجدون أنفسهم في حالة من عدم اليقين وفي كثير من الأحيان اليأس، يتسم بها زيادة في "وفيات اليأس." إنهم ينفصلون بشكل مُتزايد عن النظام الرأسمالي الذي لا يُعطيهم أي أمل وينجذبون نحو الإشتراكية بإعتبارها البديل الحقيقي الوحيد. وعلى الرغم من أن الوضع الأمريكي فريدٌ من نوعه، إلا أن هناك قوى موضوعية مُماثلة تدفع بعودة ظهور الحركات الإشتراكية تحدثُ في أماكن أُخرى في النظام، وخاصة في عالم الجنوب، في عصر الركود الإقتصادي المُستمر، والتمويل، والتدهور البيئي الشامل.

ولكن إذا كانت الإشتراكية تنهض من جديد على ما يبدو في سياق الأزمة الهيكلية لرأس المال وزيادة الاستقطاب الطبقي، فإن السؤال هو: أي نوع من الإشتراكية؟ كيف تختلف اشتراكية القرن الحادي والعشرين عن إشتراكية القرن العشرين؟ إن الكثير مما يُشار إليه بالإشتراكية في الولايات المتحدة وأماكن أُخرى هو من التنوع الاجتماعي الديمقراطي، ويسعى إلى التحالف مع الليبراليين اليساريين وبالتالي النظام الحالي، في مُحاولة عبثية لجعل الرأسمالية تعمل بشكل أفضل من خلال تعزيز التنظيم الإجتماعي والرفاهية الإجتماعية في مُعارضة مُباشرة لليبرالية الجديدة، لكن في الوقت الذي تفسح فيه النيوليبرالية نفسها الطريق للفاشية الجديدة. من المحتم أن تفشل مثل هذه الحركات في البداية في السياق التاريخي الحالي. مما يُخوّن حتماً الآمال التي أطلقوها، مُنذُ أن ركزت على مجرد ديمقراطية إنتخابية. لحسن الحظ، نحنُ نشهد اليوم أيضاً نمو اشتراكية حقيقية، يتجلى في النضال الإنتخابي الإضافي، وفي العمل الجماهيري المُتزايد، وفي الدعوة إلى تجاوز معايير النظام الحالي لإعادة بناء المجتمع ككُل.

تجلت الإضطرابات العامة الكامنة في قاعدة المجتمع الأمريكي في الإنتفاضة في أواخر شهري أيار/مايو و حزيران/يونيو من هذا العام، والتي اتخذت شكل، الذي لم يُسمع به من قبل في تاريخ الولايات المتحدة مُنذُ الحرب الأهلية الأمريكية، احتجاجات تضامنية ضخمة مع ملايين الناس في الشوارع، ومع الطبقة العاملة البيضاء، والشباب البيض على وجه الخصوص، تجاوزوا خط اللون بشكل جماعي رداً على قتل الشرطة المواطن جورج فلويد George Floyd ليس لجريمة سوى كونه رجل أسود. أدى هذا الحدث، الذي يأتي في خضم جائحة COVID–19 والكساد الإقتصادي المرتبط بها، إلى أيام الغضب في حزيران/يونيو في الولايات المتحدة.

لكن في حين أن الحركة نحو الإشتراكية، التي تترسخ الآن حتى في الولايات المتحدة في "القلب الهمجي" للنظام، تكتسب أرضية نتيجة للقوى الموضوعية، فإنها تفتقر إلى أساس ذاتي مُناسب. هُناك عقبة رئيسية في صياغة الأهداف الإستراتيجية للإشتراكية في العالم اليوم تتعلق بتخلي اشتراكية القرن العشرين عن مُثُلُها كما تم التعبير عنها أصلاً في رؤية كارل ماركس للشيوعية. ولفهم هذه المشكلة، من الضروري تجاوز محاولات اليسار الأخيرة لمعالجة معنى الشيوعية على أساس فلسفي، القضية التي أدت في العقد الماضي إلى مُعالجان مُجردة

للفكرة الشيوعية، والفرضية الشيوعية، والأُفق الشيوعي بواسطة الفيلسوف الفرنسي ألان باديو Alain Badiou وآخرين. وبدلاً من ذلك، من الضروري وجود نقطة انطلاق أكثر واقعية تستند إلى التاريخ، مع التركيز بشكل مُباشر على نظرية المرحلتين للتطور الإشتراكي/الشيوعي التي انبثقت عن نقد ماركس لبرنامج غوتا Critique of Gotha Programme وكتاب فلادمير لينين "الدولة والثورة".

شيوعية ماركس كنموذج للإشتراكية المثالية

في نقد برنامج غوتا – كُتِبَ في مُعارضة المفاهيم الإقتصادية العُمالية لفرع الحزب الإشتراكي الديمقراطي الألماني المُتأثر بالفيلسوف الإشتراكي البروسي–الألماني فرديناند لاسال Ferdinand Lassalle – حدد ماركس "مرحلتين" تاريخيتين في النضال من أجل إنشاء مجتمع من المُنتجين المُترابطين. بدأت المرحلة الأولى من قِبَل "دكتاتورية البروليتاريا الثورية"، تعبِرُ عن تجربة الحرب الطبقية لكومونة باريس Paris Commune وتُمثّل فترة من ديمقراطية العُمال، لكن تلك التي لا تزال تحمل "عيوب" المُلكية الخاصة الرأسمالية القائمة، ولكن أيضاً قطيعة مع الدولة الراسمالية كهيكل القيادة السياسية للرأسمالية. وكمقياس للطبيعة المحدودة لإنتقال الإشتراكية في هذه المرحلة، فإن الإنتاج والتوزيع حتماً سيأخذا شكل لكلٌ وفقاً لعمله، مما يؤدي إلى استمرار ظروف عدم المُساواة حتى أثناء تهيئة الظروف لتجاوزها. وعلى النقيض من ذلك، في مرحلة تالية، سينتقل المبدأ الذي يحكم المجتمع، ليشكل من كل حسب قدرته، ولكُل حسب حاجته وإلغاء نظام الأُجور. وبالمُثل، في حين أن المرحلة الأولية للإشتراكية/الشيوعية تتطلب تشكيل هيكل قيادة سياسي جديد في الفترة الثورية، كان الهدف في المرحلة العُليا هو اضمحلال الدولة كجهاز منفصل يقف فوق المجتمع وفي علاقة مُعادية للمجتمع، ليحل محله شكل من التنظيم السياسي الذي أشار إليه فريدريك إنجلز Frederick Engels بإسم "المجتمع"، المرتبط بشكل جماعي للإنتاج.

في المرحلة اللاحقة، وهي المرحلة الأعلى من إنتقال الإشتراكية/الشيوعية، لن يتم فقط امتلاك المُلكية والسيطرة عليها بشكل جماعي، ولكن سيتم إعـادة تكوين الخلايا التأسيسية للمجتمع على أساس مجتمعي وسيكون الإنتاج في أيدي المُنتجين المُترابطين. في هذه الظروف، أكد ماركس، على أن "العمل" سوف لن يُصبح مُجرد "وسيلة للحياة" فحسب بل سيكون هو "نفسه الضرورة الأساسية للحياة". سيكون الإنتاج موجهاً نحو قيم الاستخدام بدلاً من القيم التبادلية، وبما يتماشى مع المجتمع الذي يكون فيه "التطور الحُر للفرد" شرطاً للتطور الحُر للجميع." إن إلغاء المجتمع الطبقي الرأسمالي وخلق مجتمع المنتجين المتضامنين سيؤدي إلى القضاء على الإستقلال الطبقي، بمعية الغاء الانقسامات بين العمل الذهني والعمل اليدوي وبين المدينة والريف. كما سيتم التغلب على الأسرة الأبوية أحادية الزواج القائمة على الاستعباد المنزلي للمرأة. كانت الصورة الأساسية لماركس عن المرحلة الأعلى من مجتمع المُنتجين المُترابطين هي التمثيل الغذائي الإجتماعي الجديد للبشرية وكوكب الأرض. في بيانه الأكثر عمومية حول الظروف المادية التي تحكم المجتمع الجديد، كَتَبَ: "الحُرية، وهي في هذا المجال [عالَم الضرورة الطبيعية، يمكن أن تتكون فقط في هذا، إن الإنسان الإجتماعي، والمنتجون المُشاركون، يحكمون عملية التمثيل الغذائي البشري الطبيعية بطريقة عقلانية ... إنجازها بأقل إنفاق للطاقة" في عملية تعزيز ظروف التنمية البشرية المُستدامة.

كَتَبَ لينين Lenin في كتابه "الدولة والثورة" وفي أماكن أُخرى، ببراعة حِجج ماركس حول المرحلتين العُليا والدُنيا، واصِفاً هذه الحُجج على أنها المرحلتين الأولى والثانية من الشيوعية. وواصل لينين التأكيد على ما أسماه "التمييز العلمي بين الإشتراكية والشيوعية"، حيثُ "ما يُسمى عادةً بالإشتراكية كان ماركس قد أطلق عليه إسم المرحلة "الأولى" أو الدُنيا من المجتمع الشيوعي"، في حين أن مُصطلح الشيوعية يعني "الشيوعية الناجزة"، كان الأكثر مُلاءمة للمرحلة الأعلى. على الرغم من أن لينين ربط هذا التمييز عن كثب بتحليل ماركس، إلا أنهُ في الماركسية الرسمية اللاحقة أصبح هذا جامداً من حيثُ مرحلتين مُنفصلتين تماماً، مع ما يُسمى بالمرحلة الشيوعية بعيداً جداً عن مرحلة الإشتراكية التي أصبحت طوباوية، ولم يعد يُنظر إليها على أنها جزء من نضال مُستمر أو قائم. بُناءً على تصورٌ خشبي للمرحلة الإشتراكية والمبدأ الوسيط للتوزيع لكل حسب عمله، شن جوزيف ستالين Joseph Stalin حرباً أيديولوجية ضد مِثال المُساواة الحقيقية، التي وصفها بأنها سخافة بُرجوازية صغيرة رجعية تستحقها طائفة بدائية من الزاهدون ولكن ليس من مجتمع اشتراكي مُنظم على أُسُس ماركسية. كان هذا الموقف نفسه استمر في الإتحاد السوفيتي بطريقة أو بأخرى طـوال الطريق حتى مجيء ميخائيل جورباتشوف.

ومن ثم، كما أوضح الكاتب اليساري مايكل ليبويتز Michael Lebowitz في كتابه "الحتمية الإشتراكية"، 'بدلاً من النضال المستمر لتجاوز ما أسماه ماركس' 'العيوب' الموروثة من المجتمع الرأسمالي، التفسير القياسي للماركسية في نصف قرن من أواخر الثلاثينيات إلى أواخر الثمانينيات أدخلت تقسيم المجتمع ما بعد الرأسمالي إلى مرحلتين مُتميّزتين"، تم تحديدهما إقتصادياً وفق مستوى تطور قوى الإنتاج. وتم التخلي عن التغييرات الأساسية في العلاقات الإجتماعية التي أكد عليها ماركس باعتبارها جوهر المسار الاشتراكي في عملية التعايش مع العيوب المنقولة من المجتمع الرأسمالي والتكيف معها. فبدلاً من ذلك، أصر ماركس على مشروع يهدف إلى بناء مجتمع المنتجين المتضامنين "مُنذُ البداية" كجزء من عملية البناء الإشتراكي المستمرة، وإن كانت غير مُتساوية بالضرورة.

وتم اختتام هذا التخلي عن النموذج الإشتراكي الأعلى المُرتبط بالمرحلة الأعلى من الشيوعية عند ماركس بطريقة مُعقدة مع تغّر الظروف المادية (والطبقية) وفي النهاية زوال المجتمعات على النمط السوفيتي، والتي كانت تميل إلى الركود بمجرد توقفها عن أن تكون ثورية وحتى بعثها من جديد على شكل طبقة، يُبشر بإنهيارها في نهاية المطاف كطبقة جديدة أو موظفين رسميين (nomenklatura) هجروا النظام. وكما قال الإقتصادي الماركسي Paul M. Sweezy في عام 1971، "إن مُلكية الدولة والتخطيط ليس كفاية لتحديد اشتراكية قابلة للتطبيق، مُحصنة ضد خطر التراجع وقادره على المُضي قُدُماً في المرحلة الثانية من الحركة نحو الشيوعية. هناك حاجة إلى شيء أكثر: النضال المستمر لخلق مجتمع المُتساوين.

بالنسبة لماركس، كان التحرك نحو مجتمع المنتجين المترابطين هو جوهر المسار الإشتراكي المُتجذر في "الوعي الشيوعي". ومع ذلك، بمجرد تعريف الإشتراكية بمصطلحات اقتصادية أكثر تقييداً، ولا سيما في الإتحاد السوفيتي مُنذُ أواخر الثلاثينيات فصاعداً، حيثُ تم الدفاع عن عدم المُساواة الجوهرية، فقد المجتمع ما بعد الثورة الإرتباط الحيوي بالنضال المُزدوج من أجل الحرية والضرورة، ومن ثم فقد انفصلت عن الأهداف طويلة المدى للإشتراكية التي انبثقت منها في السابق معناها وتماسُكها.

وبناءً على هذه التجربة، يتضح لنا أن الطريقة الوحيدة لبناء الإشتراكية في القرن الحادي والعشرين هي أن نحتضن تحديداً هذه االجوانب لمثالية الإشتراكية/الشيوعية التي تسمح لنظرية وممارسة جذرية بما يكفي لتلبية احتياجات الحاضر المُلحة، وكذلك عدم إغفال احتياجات المُستقبل. إذا علمتنا الإزمة البيئة العالمية أي شيء، فإن الشيء المطلوب تفاعل حيوي إجتماعي جديد مع الأرض، مُجتمع المحافظة على البيئة والمُساواة الحقيقية.ويمكن رؤية هذا في الإنجازات غير العادية في البئية في كوبا، كما شُهِدَ مؤخراً بواسطة الإقتصادي الكولومبي Mauricio Betancourt في كتابه "تأثير الزراعة الإيكولوجية الكوبية في التخفيف من تصدع التفاعل الحيوي" في التغيّر البيئي العالمي.

هذا يتوافق مع ما أسماه Georg Lukács "التحول المُزدوج" الضروري للعلاقات الإجتماعية البشرية وعلاقات الإنسان بالطبيعة. يجب أن يمر مثل هذا المشروع التحرُري بالضرورة بمراحل ثورية مُختلفة لا يمكن التنبؤ بها مُسبقاً. ومع ذلك، لكي تنجح الثورة، يجب أن تسعى إلى جعل نفسها لا رجعة فيها من خلال تعزيز نظام عضوي موجه نحو الاحتياجات الإنسانية الحقيقية، المُتجذرة في المُساواة الجوهرية والتنظيم العقلاني لعملية التفاعل الحيوي الإجتماعي البشري مع الطبيعة.

في قصصِ «نساء» فوزية مطر

المال والمجتمع يحكمان حياة المرأة

هناء بوحجي

تواصلُ الكاتبة فوزية مطر في كتابها «نساء»، الصادر عن دار فراديس للنشر والتوزيع، مشروعَها الكتابيّ لتغطية مساحاتٍ من تاريخ المرأة البحرينية، وجوانب حياتها. وتسللت هذه المرةُ إلى الجانب الخاص، فدخلت البيوتَ وغرفَ النوم، واستمعت للحواراتِ الدائرة في هذه البيوت التي غالباً ما تضم أسراً نووية، وفي رؤوس النساء في هذه البيوت، باحثةً عن مكانِ المرأة في ظلِ الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وحتى العدلية في تلك الفترة. تناولت نظرةَ المرأة لنفسها، ولدورها في أسرتها وعلاقتها بالرجل.

في 170 صفحة، انبثقت حكايات الكتاب من قصص حقيقية، روتها للكاتبة، والدتها، كما ذكرت في مقدمة الكتاب. وتركت خيالها ينسجُ حولَ هذه الحكايات تفاصيل حيوات كاملة لنساء الكتاب: زوجات، وأمهات، وخادمات وفتيات صغيرات. هذا الخيالُ الخصبُ الممتلئ، والمنشغلة صاحبَتُه دائما بالمرأة، نفذ إلى تفاصيلَ صغيرة ودقيقة في حياة هذه المرأة، تلمّس أوجاعها، وكشفَ مناطقَ ضعفها، عرّفَ المجتمعَ المحيطِ بها، كشفَ ذكوريته وفضحَ انحيازه للرجل.

كان المجتمع في زمن تلك القصص، يضعُ الرجل في المركز، ويتركُ المرأة تدور في فلكه، مسخَّرة لخدمته، تطلبُ رضاهُ وقبوله، وفي المقابل لا يقيمُ الرجلَ لاحتياجاتِ المرأة وزناً، فيكفيها أنها في ظلِ رجلٍ يوفر لها عيشا، وليس بالضرورة أن يكون هذا العيشُ كريماً. وتبارك هذا الميزان المختل، ثقافةٌ اجتماعية ظلت سائدة، حتى دخلَ التعليم عالمَ النساء في البحرين، ليغيّرَ – وإن بشكل تدريجي بطيء – من وضع المرأة. لم تمت هذه الثقافة الاجتماعية التمييزيّة بين المرأة والرجل حتى وقتنا الحاضر، ولكن التمكّنُ الاقتصادي لعبَ دورَه في انتفاء اعتماد المرأة على الرجل لتعيش، وفتحَ أمامَها أبوابَ الاستقلالية والحرية في جوانبَ كثيرة.

دارت قصصُ الكتاب في حقبة اقتصادية صعبة، وكما هو الحالُ دائماً، يتحمل الطرفُ الأضعفُ العبء الأكبر من أي وضع صعب، فتحملت النساءُ شظف الحياة، وأيضاً تبعات إحباطَ الرجل من فشله في توفير حياة كريمة لأسرته، ولم تسلم تلك التي تقررُ أن تخرجُ من بيتها كسباً للرزق، من عيون المجتمع المتربصة بها، ومن تنميطها في إطار المرأة القابلة لبيع كرامتها وشرفها في مقابل المال.

قدمت الكاتبةُ في كل قصة من قصص النساء الثلاث عشرة التي جمعتها بين دفتيّ كتابها، نماذج للنساء اللاتي عشنَ في تلك الفترة. قصصُ الكتاب متنوعة، ومكتنزة بالتفاصيل المختلفة في فترة حدوثها. ربما نعتبر تلك القصص بتفاصيلها عيّنةً ممثلة للمجتمع آنذاك!

سببان وراء ضعف المرأة وهشاشتها

المال والسطوة الاجتماعية كانا ذراعين طويلتين تمتدان للمرأة أينما كانت. سواء في منزل أسرتها أم في منزل زوجها، أم في منزل أسيادها، أم حتى أثناء سيرها في الشارع بمحاذاة الجدران.

السبب الأول اقتصادي: الحاجة المادية هي أكثر الأسباب التي تؤثرُ في جودة حياة المرأة في تلك الفترة. فهي إما أن تتحمل شظف العيش بسبب الأوضاع الاقتصادية السيئة في ذلك الوقت، خصوصاً قبل اكتشاف النفطَ. أو أنها تخرجُ من منزلها للخدمة في بيوت الموسرين نظير مبالغ صغيرة أو مقابلَ وجبة تعود بها، بعد يوم عمل طويل لتطعمَ بها أبناءها. كذلك تتكسب من وراء مشاريعَ صغيرة بطحن البهارات والسدر وبيعها ويتطلبُ ذلك أيضا خروجها من منزلها.

خروج المرأة من منزلها يضاعفُ هشاشة وضعها، فهي حينئذ تكونُ عرضةً لضرر أكبر، من المجتمع الذي يرى في خروجها للكسب ضعفاً يمكنُ استغلاله. فتتعرض للتحرش والمضايقة والاستدراج حتى الاغتصاب. يعرفُ الرجل – والمجتمع من ورائه – أنَّ الأمر محسومٌ لغير صالح المرأة حتى وإن كانت هي الضحية والمذنبُ هو الرجل. يأمن العقاب فيتمادى في استغلاله للمرأة. كان هذا واضحا في قصة «استدراج» عندما خرجت الفتاةُ للعمل لمساعدة أسرتها بعد أن أتلفَ الغوصُ إحدى رئتي والدها. فتعرضت للتحرش الذي أفضى إلى اغتصابها. واحتمى المغتصب بالمجتمع الذي لن يرحمها لو انكشف أمرها. فتتعرض للمزيد من الاستغلال. تطرقُ الباب الخطأ لتوفير المال بالدين لحماية والدها وشقيقها من ظلم النوخذة، لتكتشف أن عليها أن تبيعَ المزيد من كرامتها. الأمرُ نفسه تكرر في كل قصة احتاجت فيها المرأة لتوفير المالِ من أجلِ أسرتها.

السببُ الثاني - اجتماعي

الثقافةُ السائدةُ آنذاك تعتبرُ تعنيف المرأة وضربها أمراً مقبولا. كذلك الأمر في إجبار المرأة على الزواج، وأيضاً زواج القاصرات، وحرمانهن من التعليم. الأمر الذي يترك المرأةَ بين خيارين، إما الصبر والبقاء تحت سقف الزواج، إن لم تكن لها عائلةٌ تُسندها، بما فيه من هدر لكرامتها، أو أن تختار الخروج لتواجُه الحياة لتكتشف وعورةَ طريق المطلّقة، ونظرة المجتمع واستغلاله. عددٌ من نساء القصص انزلَقن إلى دربِ الدّعارة رغماً عنهن، وصعبٌ عليهن الخروج منه بعد ذلك.

الطبقية الاجتماعية التي كانت سائدةً في تلك الفترة سهّلت تعدى «ابن الأسياد» على ابنة مربيته منذ الصغر، بتعنيفها المستمر وحرمانها من اللعب معهم. كما لم يجد أي قيدٍ يردعه عن اغتصابها فيما بعد. ولم تتجرأ العائلةُ على الانتقام، خوفا منه وخوفا من المجتمع وكانت الفتاه هي الضحية.

الطبقية أيضا حرمت ابنة «الحسب والنسب» من الزواج بموظف صغير في شركة والدها. برغم أن الأب كان يعاني وهو يرى الحياةَ تنسحبُ من ابنته بسبب قراراته، إلا أن قوى المجتمع كانت أكبر من عاطفته.

الطبقية أيضا دفعت الرجلَ الثري في قصة نزوة للاحتيال على الغجرية الجميلة في مصيف بإحدى الدول العربية، وتزويجها لمساعده كي يصطحبها إلى بلاده حيث احتجزَها، وواظبَ على اغتصابها على اعتبار أنه قادرٌ على شراء أي «شيء» بالمال.

العنفُ أيضا والوصايةُ الأبوية حرمت المرأة من تجارب الحب واختيار الشريك في قصة التيه. وحرمتها أيضا من التعليم. في قصة القاصر نرى كيف يئدُ المجتمعُ أحلامَ بناته الحالمات بحياة أفضل، فتُحرمنَ من الدراسة خوفاً من أن يفتحُ التعليمُ عيونهنَ على أفق يتجاوز المسموح، في هذه القصةُ التي تقع فتاتُها ضحيةَ «زواج القاصرات»، تُجبر على حياة مع رجل متزوج يكبرُها بسنوات. تعاني من الاغتصاب الزوجي في هذهَ الأثناء. وعندما ييأسُ من تحقيق مراده من هذا الزواج بإنجاب الولد؛ يطلقُ سراحها فيتجددُ حلمُ العودة للدراسة، لتكتشف فيما بعد أن لا مكان للمتزوجات أو المطلقات على مقاعد الدراسة.

في القصتين، حين تناثرت حباب الحمص ولهيب الرمل الحارق، يرفضُ الرجلُ إعاقة ابنته، ويُلقي اللومَ على الزوجة، ويعتبرُ الإعاقةَ أمرٌ سلبي إضافي على عبء ولادتها أصلاً كبنت. الأب في القصتين كان قاسيا وعنيفا. في الأولى كان يربطُ ابنتَه المعاقة في ساق شجرة ويضربُها ضربا مبرّحا على مرأى والدتها وجدتها، فيما تخلّص الأب في القصة الثانية من ابنته بأن تركها في رعاية والدته القاسية بسبب انشغال والدتها، زوجته، برعايتها عن خدمته، وحرمها أيضا من رعاية هذه الابنة وزيارتها.

في قصة ابن عمّي، نرى كيف يشكلُ المجتمع امرأةً خاضعةً وخانعةً لزوجها، ابن عمها الذي نشأت وهي كما يقال «موهوبةً» له. وبرغم الوضع الاجتماعي والمادي الجيد ودعم الأهل لها، إلا أنها اختارت التبعيةَ التامة للزوج. راهنت رهاناً خاسراً على أن توفيرها الراحة له سيعيدُه لها. فيما كان الرجل أنانياً واستغلالياً لحبها، ما دفعُه للمزيد من التجاوز على قداسة الحياة الزوجية،

غلاف الكتاب

فوزية مطر

حتى أصبحت الزوجةُ «الوعاءَ الأخير لإشباع بقايا من رغبات، وملاذاً لقضاء الاحتياجات وتقديم الخدمات».

وبرغم أن الثقافة الاجتماعية السائدة تبدو المتهم الأول في الوضع السيء الذي كانت تعيشُه المرأة، فيظهر الرجل مهيمناً، مسيطراً، شريراً، ومتحرّشاً ومغتصباً ومستخدماً تفوّقه العضلي والاجتماعي لكسر المرأة وضربها والاعتداء عليها بشتّى الوسائل ولمختلف الأغراض ابتداء من التنفيس عن الغضب والعجز، ومروراً بالتّأديب، وكل ذلك بموافقة المجتمع ومباركته؛ إلا أن الحاجةَ الاقتصادية هي في الحقيقة أساسُ ذل المرأة، وهي ما تجبرُها على قبول العيش في هذا الوضع، ولأن الهروبَ منهُ بوضعها الهش اقتصاديا، لن يقودَها إلى التعرض لانتهاكاتٍ أكبر خارجه.

ومضاتٌ مضيئة

طعّمت الكاتبةُ قصصَها بنساء قويات الإرادة، تمكنّ من التغلب على أوضاعهن الصعبة. كالمرأة في قصة تفرد التي أفقدتها أصابتها بمرض الجدري جلَّ بصرها. كانت تستندُ إلى القوة التي تولّدُها سعادةٌ يحققها العطاء. حتى وصفت هذه القوة بالمجاديف التي تجعلُ سفينتَها تبحرُ في هذه الحياة.

كذلك في قصة لهيبُ الجمر الحارق. حينما تولّدت قوةٌ عظيمةٌ، لدى الفتاة التي أحرقتها قسوةُ جدتها، حرفياً. انهار مع هذه القوة جبروت جدتها وكبرت القوة في البنت المعاقة.

ولكن في كلا القصتين كانت القوةُ قد نشأت لدى المرأة لتتجاوز الإعاقة الجسدية.

وفي قصة القلعةُ والسدرةُ والخيزران، كانت المرأة عالية الكرامة برغم فقرها، وعملها في خدمة البيوت مقابلَ الوجبة التي تعود بها كل مساء لإطعام عائلتها. السدرةُ كانت القلعةُ الخضراء وكأنها قلعةُ كرامتها، التي تشقُّ طريقَها في العلو للتوازي طولاً مع ارتفاع بيت جيرانها الموسرين. وكأنها المرأةُ في القصة تقول: «إن كانت جدرانُ مسكنهم شاهقةً فإن قلعتي الخضراءَ بارتفاع هذه الجدران». احتمت في ظلّها كما أوفت بعهدها لزوجها ووالدته، برعاية السدرة كي تمنحُها الخيرَ الكثير. ما مكنها من مد يد الكرم بالنبق السكري لأطفال الحي.

هناك أيضا على شاطئ الانتظار قصصُ الحب الصغيرة، وتواصل المحبين وكيف ينقلُ الأحبة إلى عوالم وردية حالمة، ويغسلُ شظف العيش. الرجل هنا محبا، مخلصا، عاشقاً، رزينا.

صورة بانورامية

عند الانتهاء من الكتاب، سيشعرُ القارئ أن التفاصيلَ الكثيرة التي كانت تدورُ فيها أحداثُ قصص «النساء» قد أخذته عقوداً طويلة إلى الوراء. ويصبحُ على اطلاع بانعكاس الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية على المرأة. فحرصت الكاتبة في كل «مشهد» على الإشارة لهذه التفاصيل. تفاصيل الملابس، العباءة والغشوة. بيوت الأغنياء المبنية بالإسمنت يزينُها البادكير، في مقابل بيوت الغالبية من الناس، المصنوعة غرفها من سعف النخيل، والبرستي والدعن أو «السيم». شكل الفصول الدراسية، بكراسيها الموصولة بطاولاتها، المدرسّات العرب اللاتي كن أوائلَ المعلمات عند بدء التعليم في البحرين، الصناعات الصغيرة في ذلك الوقت، بيع البهارات والسدر، الحمص المسلوق، والتي ربما انبثقت منها مشاريعُ الأسر المنتجة الحاليةَ. أدواتُ الزينة، الحنة والدورم. الممارسات الاجتماعية كالسّحر والمحو، جلسات الزار، الطرب النسائي الشعبي. العملة المستخدمة آنذاك: الآنة. أشارت الكاتبةُ أيضا إلى الغوص كمصدر رئيسي للدخل وبدء اكتشاف النفط وتشكّل قطاع الصناعة. ومرّت إحدى القصص بالوضع السياسي، عندما دارت أحداثُها في وقت إنشاء هيئة الاتحاد الوطني، وازدهار القومية العربية، والاتجاه الناصري، ونفي المعارضين. أشارت أيضاً للاستعمار، للجوء النساء إلى المعتمدية البريطانية في أوائل القرن العشرين ليحصلنَ على الحماية من الأهل الذين قد تصلُ ردةُ فعلهم إلى القتل على ارتكاب ما يمسُّ الشرف، فيتم تهديد أولياء الأمور كي لا يصيبوا الفتاةَ بمكروه.

بعد قرابة قرن على قصص «نساء» فوزية مطر. مالذي تغيّر؟

ما بين زمن الروايات في «نساء» حين كانت تُنتهك حقوق المرأة، بسبب عدم وجودِ قوانينَ تحميها، ووقتنا الحاضر حيث اكتملت منظومةُ القوانين التي تنظم كافة أمور الحياة... مالذي تغيّر في وضع المرأة؟ هل تمكنت خلال ما يقارب القرن، من الحصول على حقوق مساوية للرجل، هل تُحقق لها هذه القوانين الحمايةَ داخلَ بيتِها وحين خروجها منهُ إلى المجتمع؟

بلمحة سريعة، سنرى أن المرأةَ حظيت باهتمام المشرّعين، فكفلت الدساتيرُ حقَّ مساواتها بالرجل، وسُنت قوانينَ خطوطها العريضة التي وُضعت لحماية حقوقها في المؤسسة الزوجية ولحمايتها من العنف داخل البيت وخارجه. لكن بالنفاذ إلى بنود هذه القوانينُ التفصيلية، نجد أنها لاتزال تميزُ لغير صالح المرأة. ففي قانون أحكام الأسرة لاتزال المرأةُ بحاجة إلى وليّ لتزويجها، ولا تملكُ قرارَ زواجها. كما يخلو من نصٍّ يقيّد تعدّدَ الزّوجات، ويحدُّ من إساءة رخصة التّعدّد. بالإضافة إلى ذلك، فالقانون يكرّسُ مفهومَ تبعية المرأة للرّجل، وطاعته برغم أن المعاشرة بالمعروف هي حقٌّ متبادلٌ بين الزّوجين. ولا يزال الزّوجُ – بموجب القانون – متحكّماً في خروج الزّوجة للعمل ويحقُّ له منعها إن أراد ضدَّ إرادتها. ولا يزال زواج القاصرات حاضراً. فالقانون يحددُ سن زواج الفتاة بست عشرة سنة، وليس بتجاوز سن الطفولة عند الثامنة عشر، مع قدرة المحكمة على الاستثناء لمن هنّ دون ذلك. ولا يزال الطّلاق بيد الرّجل وحده، بينما لا يمكن للمرأة خلع الزوج دون إرادته وموافقته.

وإذا ما تطرقنا إلى العنف الأسري، فالمرأة لاتزال غير مطمئنة لوجود آليات انتصاف رادعة، عندما يتعلقُ الأمرُ بالحماية من العنف الأسري. وبرغم صدور قانون الحماية من العنف الأسري في 2015 إلا أنه خلا من وجود عقوبة ضدَ مرتكبي جرائم العنف الأسري، من إيذاء جسدي ونفسي وجنسي واقتصادي. القانونُ أيضا لا يجرّم الاغتصابَ الزّوجي، كما خلا قانون العقوبات من تحميل الزّوج أيَّ مسؤولية إذا ما مارس العلاقة الزوجية مع زوجته كرهاً أو غصباً عنها.

بالإضافة إلى ذلك، فالمادة 535 من قانون العقوبات، لاتزال توفرُ الحمايةَ للمغتصب إذا ما تزوج ضحيتَه «الناجية» من الجريمة التي ارتكبها في حقها.

هذا بالنسبة للقوانين التي حاربت المرأةُ من أجلها. فهل المشرّعُ مازال محكوما بالثقافة المجتمعية! هذه الثقافة، هل تغيرت كثيراً في ظل تعليم المرأة خلال العقود التي تلت أحداث قصص «نساء» فوزية مطر، وبعد أن تمكّنت المرأة ولم يُمكنها أحد، اقتصادياً؟.

الشهيد
سعيد
العويناتي

حين عاد سعيد إلى قريته شهيداً

في تلك الليلة الموحشة بدت قرية بلاد القديم تصحوا من كابوس طويل يمضغون المرارات على وقع أخبار تناهت اليهم عن استشهاد سعيد راودتهم أسئلة معذبة سرت في الدم كالنار في الهشيم. لم يصدقوا الخبر وبدت الدهشة على وجوههم مرتبكين ومأخوذين بما سمعوه، فهرعوا مسرعين يتسقطون الأخبار من هنا وهناك علّهم يقبضون علي الحقيقة والتي تمنوا في قرارة أنفسهم أن لا تكون إلا إشاعة من الإشاعات المغرضة الشائعة آنذاك بعد حلّ المجلس الوطني وحملة الاعتقالات الواسعة في صفوف الحركة الوطنية.

حميد الملا

على وقع ما حدث قال صديقه صالح: "مخي تهاوى وبدأت لطخات الظلمة تسرق ما تبقى من نور ولم أعد أعرف حقيقة ما حصل، بعدها أفقت وانا في حضرة الحقيقة المرة، قُتل سعيد شرّ قتله ومُثل بجسمانه".

قال: بقي أن أقول، لا مصلحة لي فيما أرويه، إلا إنني شيء عشته وأحسسته، أو تراءى لي مجرد كابوس في حلم أو روؤيا، ولكن هي الحقيقة شاخصة أمامي، إذن لم يكن كابوسا ولكنه شيء يشبه الحقيقة، جسد مثخن بالجراح من آثار التعذيب، ممدد بين أيدينا لا نعرف من أين نبدأ في تغسيله وتجهيزه للدفن فقد تناثرت أشلاؤه كالخرقة وما عاد سوى بقايا جثة، ملامحه تلاشت،غابت ابتسامته وشُوهت وسامته. كان ذلك يوم شؤم، الثاني عشر من ديسمبر في العام 1976.

أضاف: للأسف رحل سريعاً، ونحن في مسيس الحاجة إليه، فشاعر مثله قد أصبحت قصائده نيراناً تلسع الظالمين ونبراساً ينير طريق الكادحين ترسم لهم خط النضال من أجل غد أفضل. تدعوهم لانتزاع حقوقهم وتشكيل نقاباتهم، فمنحوه ما شاءوا من حبهم وثقتهم فكل شيء بدأ بقصيدة وانتهى بقصيدة.

قلت: ناولني ما كتبه سعيد؛ قال: إليك ما دوّنه في ديوان شعره: (إليك أيها الوطن إليك إيتها الحبيبة)، أخذت الكتاب ورحت أقرأ بشغف ولهفة. وجدت في شعره حلاوة وفي أبياته نقاوة، تعابيره دقيقة، أسلوبه معبر وجميل، لغته عميقة وفي أشعاره تتجلى إبداعات أخاذة يشعل الذاكرة بالحب والنضال من أجل الوطن الحرّ والشعب السعيد.

حاول عبثاً أن يسترجع ما تبقى من خوفه ليزيد على ما شاهده في حين بدا ذهنه شارداً ومشتتاً، لا يستقر على حال من شدة الصدمة ومن هول الفاجعة، كل شيء أصبح فيه مرتبكا وقلقا وقال: أية يد غادرة فعلت بك ما فعلت يا سعيد؟

تأكد لصالح بأن ما رآه لم يكن كابوساً، كان كالطوفان أتى على البلد ليدمر كل ما تحقق، أيام قاسية وإن فداحة ما حصل كان أكبر مما تصورها. شعر بالاختناق مصحوبا بحالة يأس وبكى بحرقة وندم.

الدنيا بعدك رخيصة يا سعيد، ارفع صوتك عاليا في وجوههم. إنهم لا يعرفون آلامك وأحلامك، إنهم لا يعرفون مقدار حبك لبلدك الذي عشقته بجنون وللشغيلة التي دافعت عنها باستماتة حدّ الاستشهاد: "مقبلً موعد المهرجان/ الذي نكتب الآن تاريخه".

كم من مهرجان أقيم علي شرفك أيها الفارس المغوار، وهل باستطاعتنا عدّ ما كُتب وما دبج عنك من قصائد، إنك الغائب الباقي الحاضر دوماً. أغمض عينيه كي لا يهرب منه أي شيء ثم تذكر بعض التفاصيل، وقال سعيد الذي أعرفه كان يهجس لي بأشعار حزينة وكأنما يعرف ما ينتظره وألقي علّي بعض منها: "هاهو القاتل المختبئ/ قلتُ ماذا؟/ بكيت/ ولكنني صرتُ قنبلةً في المحيط/ وفجرت بعضي، فتاه الجميع/ الجواسيس جاءوا معاً/ القنابل موقوتة/ هاهو الانفجار الذي كان ارتقابا/ هنا أدخلوني السجون/ ولم أُمضِ شهراً لكي أستريح".

قال: تذكرت أيضاً اللحظة التي قادته فيها الجماعة الملثمة إلي تلك السجون بعد أن استباحوا حرمة منزله، وقلبوا عاليه سافله ولم يتركوا له خيار توديع عائلته وأحبته، فساقوه وهو مغلول اليدين. أوسعوه ضرباً وركلاً حتي قبل أن يأخذوه إلى زنازينهم المظلمة، عندها لم أشك لحظة وأيقنت من أنهم سيقتلوه.

كنا نحاول أن نداوي غربتنا بعدك يا سعيد بحنين القلب وبصباحات شعرك الذي ما عادت الا أطلال من ذاكرة حزينة مليئة بالجروح والخوف والآمال الموعودة والمؤجلة، حتى السماء الزرقاء في ذلك اليوم، يوم استشهادك تحولت إلى سواد، ثم إلى ظلام. والغضب الذي كظمناه تحوّل إلى قنبلة موقوتة كادت أن تنفجر فينا ومن حولنا، ماذا بقى بين أيدينا غير رماد الهزائم والدمار والخوف من المجهول ونجاة مما يحدث لم تعد مؤكدة.

بعد أن انسحب عنه الخوف شيئا فشيئا الذي لازمه طويلاً، شيء ما ظل يغلي في قلبه، أسئلة عصية علي الحل: هل كان حلما؟ أم كابوساً؟ أم شيء آخر؟ ظلّ في حيرة لازمته سنين طوال .

أن تقتل شاعراً قلبه ممتلئا بالنور والوجد، يعني بأنك قتلت وطناً، وسلبت نفسا من الحياة وأطفأت شمعة تضئ ظلمة الكون وأمل الناس وآمالهم وأطلقت رصاصات علي رجليك، فليس من الرجولة بمكان أن تقتل إنساناً أعزلاً، لا يملك سوى الكلمة وحروف يدبجها في قصيدة حبً في الوطن والمرأة والانسان، فبإمكان الجبان أن يقتل أكبر شجاع بكاتم للصوت بدم بارد ومع ذلك لن يصبح شجاعاً.

ساقوك يا سعيد إلى سجونهم مقيداً بالحديد وصليل البنادق وأصوات العسس المتداخلة التي تصلك دون أن تعرف الكثير منها سوى تهمة الانتماء لجبهة التحرير، فما كان منهم الا أن تقاسموا الأدوار على جثتك.

أنت يا شاعر الفقراء والكادحين، كنت منهكاً ومتعباً، ورغم الجراح زممت فمك ولم تتفوه بكلمة واحدة، بانت العظام من كثرة الضرب وانسلخ اللحم، ولم يتوقفوا، تحملت كل العذابات، جسدك كان هشاً، ولكنه ظلّ شامخا وبهذه الصلابة انتصرت عليهم فانهزموا كالجرذان المذعورة.

حين انبلج الصباح كان صالح قد ابتلعته أزقة القرية والناس عادوا إلى أعمالهم وفي قلب كل واحد منهم سؤال لم يجدوا له جواباً: لماذا قتلوه ومثلوا بجثته؟

أنت يا سعيد ما تبقى من صدق هذا الزمن الذي مضى، وهذا الوقت العسير الناكر للجميل، أهجسك تتلالأ نوراً، وتفيض عطراً هزّ ذاكرتهم الميتة، وقل لهم: "مقبل موعد المهرجان الذي نكتبُ الآن تاريخه"، فلأنك سرّ خوفهم قتلوك، وأرادوا إطفاء حروف النور من كتاباتك. شاعر بقامتك يقضّ مضاجعهم. أرادوا لك أن تغيب عن الذاكرة فأصبحت عكس ما يريدون وسيلة لإنقاذ الوطن والذاكرة من التلف، نحن صدرك وحنينك والبذور التي زرعتها. يا سعيد أينعت بساتين، وأشعارك أغاني وقوافيك أناشيد للحبيبة والوطن، تفتحت قصائدك وروداً قانية في الأحياء الفقيرة وشتلات تمرد في وجه الظلم والظالمين.

فيك سحرالحياة الذي يُحول عشقُ الوطن إلى قداسة مُحملا بالأحرف والجراح، بهمجيتهم تلك أوصلوك إلى سقف الشهادة لتصبح إيقونة للتمرد على الخوف والظلم وقيثارة لأناشيد الكادحين. لن تصمت الأغاني ولن تقتلوا الأناشيد ولن يُغيب سعيد، ولم يمحه الزمن الذي ما برح حتى يومنا هذا يلوح ويومئ إبداعاً وشعراً في الوعي الوطني، فهو باقٍ فينا بفكره وشعره، فمدننا لن تُقتل وأشواقنا لن تُباد وأحلامنا لن تُنحر.

سارت جموع غفيرة إلي مقبرة أبو عنبرة، مقبرة كبيرة وواسعة، غصّ المكان بالمشيعين. كان يوم الاثنين يوما مؤلماً، على الوجوه علامات الحزن واللوعة والغيظ، لملموا ما تبقى من جثته وواروه الثرى.

قال صالح وهو يجر ذيل أحزانه بعد أن غاص لوهلة في جوف أفكاره: لم يمهلوه. ظلّ لديهم ساعات فقط ليسلموه إلى عائلته جثة ممزقة وبقايا إنسان لم يكد يبقي من جثته شيء يوارى تحت التراب.

انفضّ عقد العزاء ... وبقيت ذاكرة سعيد لعنة دائمة تطارد القتلة والجلادين!.

الخطأ ليس في الفلسفة بل في التنفيذ

محمد شاهين

التشابه هو الشرط الأساسي لحياة جيدة، أي طاعة نفس القواعد والرغبة في نفس الأشياء مثل أي شخص آخر، أما «جون كيتنغ» فيرى أن التشابه هو الشرط الأساسي للموت، أي شيء يجب محاربته ضد، لذلك كما يقول، يجب أن تقاوم الحياة الجيدة التماثل والتوافق الأعمى، نظرًا لأن الحياة قصيرة جدًا، ويجب على الطلاب الاستفادة القصوى من وقتهم على الأرض، أو ما يدعوه ب «اغتنام اليوم».

وأفضل طريقة لتحقيق أقصى استفادة من الحياة هي أن تكون مبدعًا وأصلياً – لاغتنام اليوم – وليس مجرد تكرار حياة الوالدين والأجداد. باختصار هدف كيتنغ كمعلم هو تعليم طلابه التفكير بأنفسهم واستكشاف شغفهم والعيش وفقًا لذلك.

مأساة مجتمع الشعراء الميتين هي أنّ بعض طلاب كيتنغ يسيئون تفسير احتفاله بالحياة والأصالة. وعقلية « Carpe Diem" تعني أنّ الحياة بدون الإبداع والأصالة لا قيمة لها ولا تستحق العيش.

بدأ "نيل بيري"، أحد أكثر تلاميذ كيتنغ حماسة مسيرته المهنيّة كممثل، متأثراً من تشجيع معلمه "كيتنغ" على فكرة "اغتنام اليوم". ولكن عندما اكتشف والده السيد بيري أنّ نيل كان يهمل دراسته بسبب انغماسه في المسرح، منعه من الأداء،، فأصيب نيل بالذهول من ذلك ، لدرجة أنّه قتل نفسه.

ماذا يعني هذا؟ هل هو خطأ نيل المأساوي الذي هو تحريف فكرة كيتنغ، "لأننا سنموت، فلنعش الحياة على أكمل وجه" إلى فكرة أكثر كآبة: "لأننا لا نستطيع أن نعيش الحياة على أكمل وجه، يجب أن نموت»؟

فلسفة "جون كيتنغ" هي، قبل كل شيء الاحتفاء والاحتفال بالحياة على الموت. بينما أدى سوء تفسير نيل لنظرية أستاذه إلى وفاته. بالرغم من أن كيتنغ قد ألهم العديد من طلابه لعيشوا حياة مبنية على شغفهم الفريد، متجاهلاً إملاءات والديهم ومعلمي ويلتون الآخرين.

إذا، الخطأ ليس في الفلسفة بذاتها، بل في طريقة تنفيذها، أو مدى استيعابها من قبل مريديها.

لعصر العيد.. مرثية

فوزية مطر

اعتاد واعتدنا أن يطرز عصر كل عيد بوصله الجميل تزينه خيوطٌ ملونة باهية تحيط به وبنا من كل ناحية. نعرف وقته، نتهيأ، نتأهب لرنة الجرس. جمع أجراسِ العائلي يطرق الباب، وما إن نفتح حتى يطل بابتسامته الرائقة الحميمة التي تنفذ إلى القلب، كأنه يقول: "كلنا بخير، كيف أحوالكم أنتم". تغمر الابتسامة المشرقة الجمع المرافق قبل أن يخطو من عتبة الباب ويلج المجلس. يدخل محيياً ومباركاً بالعيد بصوته المميز الذي لا تخطئه أذن.

لم يخلف الصديق الغالي سلمان زيمان عصرَ عيد سوى مرات تقل عن عدد أصابع اليد الواحدة ولظروف جد قاهرة. ظل عصر العيد – كل عيد – ولما يربو على الثلاثة عقود يزدان ويزهو بمقدمه برفقة أفراد عائلته الكبيرة، بعض الأشقاء والشقيقات، زوجاتهم، أزواجهن وأولادهم وأحفادهم. قد يغيب البعض في عيد أو آخر، لكن المجلس يمتلئ بحضورهم المحبب عصر كل عيد.

يعرف مكانه بقرب رفيقه في لمسة وفاء أصيل متواصل، وهل هناك وفاء أصدق من زيـارة ثابتة لصديق مدرجة على الأجندة العائلية لزيارة الأهل والأقارب عصر كل عيد. وفاءٌ مقيمٌ لصاحب المجلس الذي كان هو الآخر يدرجُ على أجندته اليومية المرور كل مساء على مقر أجراس سنوات تألقها على الساحة الفنية في بحرين التسعينيات، لحضور تدريباتها تقديراً وتشجيعاً لفرقة مختلفة ومحبة خالصة لأعضائها.

المجلس يعبق بأنفاسك يا أبـا سلام وبكلامك وضحكاتك، دخلته في كل وقت، في أيام اللين والشدة، أيام الفرح والألم. لم تفوِّت زيارة عصر العيد أنت وأجراسك الشجية حتى حين غاب صاحب المجلس لفترةٍ عنا وعنكم. لم تفوِّتها حين ألمَّ به المرض وصعُب جلوسه بقربك في المجلس. لكنه سرعان ما نهض، تمكَّن من ذاته واتخذ مكانه بقربك عصر العيد التالي.

كنت دؤوباً بهمةٍ عالية ومودةٍ صافية، وبكل ما أوتيت من سبلٍ لتمكينه من الاندماج في الحياة. تستمع له بصبرٍ خـرافي، تطرح عليه شتى الأسئلة في محاولةٍ لاستنطاقه، ولا تهدأ نفسك إلا حين تشعر بتقدمٍ ما. تجول به في مناطق البحرين المحببة له، تستنهض ذاكرته. تجلس معه بالساعات كي يتمكن من الانفتاح على عالم شبكة المعلومات الالكترونية. أنت من أدخله وفي خضم حالته المرضية لهذا العالم الذي غدا وجهته اليومية بمقدار ما يحوز من مهارات ذهنية للتواصل مع الحياة وعوالم المعرفة. كنت أيها الصديق الحميم علاجاً مكيناً ونجحت في كل ما بذلت.

وكنت حريصاً على توثيق مسيرة حياته، تبحث بهمة عالية وسمو لا يُضاهى عن سبلٍ لدفع الآلام عنه. أحضرت آلة التصوير الفلمي وجلست معه ما شاء لكما من وقت، منحته ثقة التكلم أياً كان. ولم يلبث أن جاء صديقكما بآلة تصويره الفوتوغرافي، وانغمرتم في صدق خالص يرفرف عليكم ما يجمعكم من محبةً وفيرةً.

كيف لك أن تغادر وتتركه يكابد لوعة الغياب وعصف الاشتياق تحيط به غيوم حزنه عليك من كل جانب، لا ينفك يستعيد بقلب ملتاع التسجيل الفلمي، تحتقن عينه بحزن كظيم ويتألم حد البكاء. كنت يا أبا سلام تبغي توثيق سيرة رفيقك وحفظها، وها هي اليوم بعد غيابك قد غدت فصلاً من فصول سيرة محبتك ووفائك الأصيل لأصدقائك يحفظها هو ويتلذذ أو يتألم باستعادتها كل وقت.

أبا سلام، يا من أدميت قلوبنا برحيلك المفاجئ، كيف لنا أن نتحمل هذا الفراق اللعين الذي لن ينتهي. لربما يُحسب لوباء كورونا أنـه عوَّدنا على عدم انتظار رنة جرس أو طرقة باب في الرابعة عصر العيد. لكن ماذا نحن فاعلون حين تغرب الغمَّة وتعود حياتنا لإيقاعها الطبيعي، من سننتظر؟ من سيطرق الباب؟ ومـاذا سيخيم على المجلس عصر العيد؟.

- من سينتظر ؟
من سيطرق الباب؟ وماذا
سيخيم على المجلس عصر العيد؟

- المجلس يعبق بأنفاسك يا أبا سلام
وبكلامك وضحكاتك، دخلته في كل
وقت، في أيام اللين والشدة، أيام الفرح
والألم

هؤلاء يرفضون اللقاح

لعلّ الخوف من المرض والموت هو الذي جعل الناس تسارع إلى تلقي اللقاح المضاد لكوورنا، ما مكّن بلدنا من بلوغ أرقام قياسية في نسب المطعمومين قياساً ببقية دول العالم، لكن ثمة خوفاً من نوع آخر جعل البعض يحجم ويمتنع تماما عن الاقتراب من أي لقاح.

وهذا المقال يتطرق إلى نوعية هؤلاء المعارضين لمبدأ التلقيح وفكرته من الأساس، وقد لفت انتباهي كيف ان هذه النماذج على جانب كبير من الاختلاف في التعليم والوعي والطبقة الاجتماعية والمهنية وغيره، والجامع الوحيد بينهم هو رفض اللقاح.

عصمت الموسوي

أحد هؤلاء طبيبة عائلة متقاعدة ظلت تمطرني على مدى عام كامل بالمقالات وافلام الفيديو حول المؤامرة الكبرى التي تحاك ضد العالم وضد البشر، وأن المستفيدين من ذلك ما هم إلا مجموعة من الاشرار الذين صنّعوا الفيروس، واطلقوه لهدف معين كتقليل سكان المعمورة ثم خرج من سيطرتهم، ثم اشتغلوا لاحقاً على تصنيع اللقاحات لجني الأرباح، وظلّت تردد أن كورونا فيروس معتاد مثل كل الفيروسات التي عرفتها البشرية، يصيب الناس ولا يقتل إلا الضعاف والمرضى، وعلى الناس ان يحموا أنفسهم ويصبروا قليلاً، وأتذكر جملتها الدائمة "أفضل الموت بكوفيد أو الإصابة به ولا تعريض نفسي لهذه اللقاحات».

النموذج الثاني فلاح آسيوي كان يعمل في حديقتي، خيّرته بين تلقي اللقاح أو الانصراف وترك العمل، قلت له: إنك تدخل البيوت يومياً، وثمة احتمال كبير أن تصاب بالمرض وتنقله لنا، سوف أعيدك الى العمل حين تحضر شهادة التطعيم الصفراء، أجاب: «الله هو الحافظ « وخرج غاضباً.

النموذج الثالث استاذ جامعي يرفض اللقاح لأن ثمة شكوكاً لديه حول جدواه، هو يقول إنه تعرض لمرضى ومصابون وأشكال متعددة من الناس ونجى من الإصابة مراراً، يقي نفسه يوميا بارتداء كمامتين والابتعاد عن التجمعات، ويتساءل: «لمَ أعرّض نفسي للقاحات لم تخضع للدراسات الكافية» ؟

النموذج الرابع عاملة المنزل الإثيوبية في بيتي. رفضت اللقاح مراراً ولم استطع إقناعها، وقد جرّبت معها بوسائل إقناع عديدة، وظللت ألحّ عليها، بينما تمسكت هي بالقول: «أنا شابة وصغيرة وقوية وأخشى على نفسي من الإعاقة الإنجابية مستقبلا إذا تلقيتُ اللقاح».

النموذج الرابع رجل ستيني نشط سياسيا واجتماعيا، يتحرك وسط الناس بثقة وحيوية من اجل العمل الخيري السنوي المعتاد في شهر رمضان، تلقّح جميع افراد عائلته الصغيرة والكبيرة وأصدقاءه ،لا يشك في التلقيح إلا أنه يتكاسل عنه، يرى أن الفيروس سيزول سريعا ولا ضرورة لأن يتلقح الجميع، كان يهمّ بدخول احد المساجد بعد إعادة فتحها، فاستوقفه أحدهم مطالبا بابراز شهادة التطعيم، أزعجه الأمر كثيراً باعتبار أن هذا المنع وغيره يشكل ضغطاً أو نوعاً من الإجبار على التلقيح، مع انه امر اختياري.

النموذج الخامس؛ سيدة في الخمسين من عمرها تلقّح جميع الموظفين في عملها باستثناءها، خيَرها رئيسها بين التلقيح أو أخذ اجازة طويلة تعود بعدها بشهادة التلقيح إن أرادت الاستمرار في العمل، لكنها ترى أن المرض والفيروس والإعلام المنصب عليه "مؤامرة في مؤامرة"، وفضلت الاستقالة تاركة خلفها وظيفة جيدة ومربحة.

النموذج السادس، شاب ثلاثيني اصيب بالمرض مرتين دون ظهور الأعراض، عرف الحجر وذاق ويلاته وتعطّل عمله، يرفض اللقاح كونه يفضل المناعة الذاتية عن تلك المصنعة خارج الجسد .

النموذج السابع طبيب أسنان في الستين من عمره يمتنع عن اللقاح، لان الطعوم برأيه لم تنل حقها من الدراسة الكافية، كما أن الأنواع المتعددة من الطعوم تتبدى أخطاءها مع تجربتها على البشر المختلفين في أجسادهم وأمراضهم.

لست من هؤلاء الممتنعين، وأرى أن اللقاح حقق، ويحقق، حماية صحية بنسبة كبيرة، وأتمنى أن تصل البحرين إلى المرتبة الأولى في تعاطي اللقاح، لكن أجد العذر للممتنعين، فلو تأملنا جميع النماذج السالفة لوجدنا أن الخوف من مؤامرة ما هو العامل المشرك والسبب الكامن والمتواري في الإمتناع عن اللقاح.

وكنت قد اشرت في عدد من مقالاتي السابقة حول جائحة كورونا إلى أننا نعيش في عالم غير جدير بالثقة في انظمته السياسية والاقتصادية والصحية وغيرها، وأن شيطان الربح يقف خلف مؤامرات كثيرة، اما الضرر الذي تعرضت له بيئة الكون فيكاد يكون كارثياً، ويقول علماء بيئة مختصون إنه إذا استمر السلوك الإنساني على مستواه الحالي، فسوف يحتاج البشر عام 2030 إلى كوكب آخر لاستيعابهم، لا شيئ يبدد مخاوف الناس إلا استعادة الثقة في الخطابات السائدة التي يتلقاها الناس من صناع حضارتنا الراهنة على جميع المستويات، والبدء بالإصلاح الحقيقي الشامل في شتى مناحي الحياة. ان كوفيد ليس إلا جرس انذار مبكر، ولعلنا نفيق.

وضعت خطاً فاصلاً بين عصرين

ماذا ينتظرنا بعد الجائحة؟

ترتفع بعض الأصوات مؤخرا لتلقي اللوم الأكبر على الحكومات التي حُذّرت من طرف جهات علمية منذ ٢٠٠٩ من خطر الفيروسات القادمة، ولا من مجيب. تعود بعض تلك ألأصوات إلى بداية ظهور فيروس أنفلونزا الطيور، ومنها ما نبه إليه الكاتب الإقتصادي والإجتماعي الفرنسي جاك أتالي الذي كان مستشارا للرئيس فرانسوا ميتران، والذي شغل مناصب أخرى في غاية الأهمية. لكن قدرته على قراءة المستقبل من خلال معطيات الماضي والحاضر مذهلة، ولولا تعاطيه السياسة وتواجده في دائرة المسيرين في المواقع الحساسة لما انتبه الإعلام لآرائه ربما، فقد كانت آراء أهل الفكر موجهة دوما لفئة قليلة من الجمهور المتابع للأخبار العالمية.

لم يتصدّر الخبر العلمي المحطّات الإخبارية إلاّ حين حطّ فيروس كورونا علينا وبسط نفوذه على كامل الكرة الأرضية. حتى أن محطات غير إخبارية دأبت على بث أخبار الحجر وأرقام المصابين والموتى على مدار الساعة لعدة أسابيع، وحين طال مقام الفيروس بيننا وملّ الناس من الحجر وتبعاته عادت شيئا فشيئا لبرامجها المعتادة.

في أوائل أيام الجائحة نبّه جاك أتالي إلى أهمية «المعلومة»، لأنها تشكل رمزا للحياة، وحذّر من الشائعات لأنها تتصرّف مثل الفيروس تماما، فهي تقوم بتدمير الدفاعات المناعية لضحيتها. ومع هذا لعبت الشائعة دورا مهما لنشر الفيروس بشكل جنوني، فقد أحبّ الناس دوما إبتكار ما يسليهم، دون وعي لخطورة ما يفعلون، أطلق البعض شائعة أن الفيروس لا وجود له، رفضت نسبة كبيرة من البشر على هذه البسيطة إرتداء الكمامة لفترة طويلة، ورفض مثلها الرضوخ للحجر، حتى أن بعضهم خرج في مظاهرات سياسية لا علاقة لها بالواقع الصحي، وادعت فئة لا بأس بها من هؤلاء أن «الكورونا اختراع أنظمة دكتاتورية، تريد تخويف شعوبها لمنعهم من التظاهر»

ورغم لجوء مثقفين كبار إلى تنبيه الشعوب لخطورة خصمهم على نسق المقولة الشهيرة :»يمكن رؤية الأسد ولكن يستحيل رؤية فيروس» إلا أن كُتّاب ذوي شهرة ومكانة أدبية وإعلامية سلكوا الطريق المعاكس لهذا الرّأي، وطبعا لا أدري ما شعورهم اليوم وقد شاركوا بقسط مهم في ارتفاع عدد المصابين والموتى بهذا الفيروس.

هاوي الأدب الإنجليزي روبن كوك، الذي استلم وزارة الخارجية واستقال من حكومة توني بلير بسبب معارضته لحرب العراق، والشهير بمواقفه الإيجابية تجاه القضايا العربية، قال في كلمة سبقت عصر الكورونا الذي لم يشهده :» الفيروس هو آخر مفترس للبشر» .

طبعا بإمكان هواة الإشاعات أن يجدوا في هذا الكلام ما يغذي مخيلتهم فينسبون لكوك في قبره مسألة اطلاعه على المخطط الفيروسي التدميري الذي حضّر له أحدهم لتدمير البشرية...! كل شيء وارد في غياب تعاون حقيقي

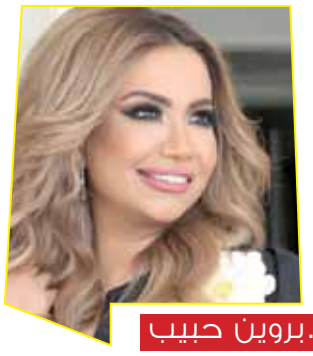
د.بروين حبيب

بين العقلاء وحكام هذا العالم.

لقد أُطلقت تحذيرات عن احتمال ظهور جائحة فيروسية منذ ظهور H1N1 ولم تكن تحذيرات واهمة أو مجرّد توقعات مبالغ فيها، ولكنها قائمة على معطيات علمية حسب تحورات السلالة الفيروسية ومدى سرعة انتشارها كلما وجدت بيئة حاضنة، لكنّها لم تجد آذانا صاغية، أو ربما تعمّدت الجهات المسؤولة إهمال الأمر لأن أي تحضير لمواجهة جائحة محتملة يعني صرف الكثير من القروش.

في نصوص روائية وقصصية وأفلام سينمائية عديدة استغل بعض المخرجين الخبر العلمي الذي لا يتصدّر الواجهة – لأن الصحف تعطيه مساحة على الهامش بحيث تقلل من أهميته، تفاديا لإثارة الهلع بين السكان– فصنعوا أفلامهم في صمت، مثل فيلم 93 يوما –موجود على نتفليكس – الذي أخرجه ستيف جوكاس العام 2016 عن فيروس إيبولا مأخوذا عن قصة حقيقية.

التفاصيل المختصرة عن حقيقة فيروس إيبولا والتي تقدم لنا عبر مواقع لا حصر لها، لا تنقل كمية الرعب التي يحملها الفيروس اللامرئي لتدمير الأجساد البشرية التي يلامسها، ولهذا ظلّ الفيروس خارج محصلتنا المعرفية، كما كل الفيروسات التي لم تدخل البرامج التعليمية لتلاميذ المدارس، ومدارس تعليم الطبخ، والمؤسسات الغذائية بصرامة كالتي نعيشها اليوم. من الإهمال المبالغ فيه إلى نظام شدّ الأحزمة، بلغنا اليوم مرحلة وضعت خطا فاصلا بين عصر ما قبل الكورونا وما بعده.

بالنسبة للمشاهد الذي تابع فيلم 93 يوم، سيتوقف حتما عند معلومة مؤسفة وهي أن الطبيب عاجز عن التصرف بدرايته وحكمته أمام تعنت مرضى "السلطة والثروة" الذين يتسببون في الغالب في تفجير كوارث من هذا النوع.

يروي الفيلم قصة تشبه ما نعيشه هذه الأيام، ويقدّم لنا بشاعة النهايات المأساوية للمصابين بفيروس إيبولا، كما يمرر رسائل سياسية مهمة وإن كان بإيقاع بطيء، واضعا التضحية الطبية في مقدمتها. لكن السؤال الخطير الذي يُطرح بعد متابعة تلك التجربة الناجحة لتطويق الفيروس في بلد غير مجهز لمواجهته، هو ما الذي تغيّر في نيجيريا بعد إيبولا؟ لأن ما شهدته كان فعلا "بروفا" أمام جائحة كورونا التي لم تعرف تطويقها بنفس الطريقة.

القوة الإقتصادية الأولى في أفريقيا لم تعرف تجهيز البلاد لمواجهة أمراض مماثلة خاصة أنها لا تخلو من أطباء متمكنين كرروا تحذيراتهم من أمراض فيروسية قادمة قبل عشرين سنة من ضرب إيبولا للغرب الأفريقي.

بعد عام من الجائحة لا يزال العالم في قلبها، لا تقدّم حتى في انتاج ما يكفي من اللقاحات وتوزيعها بالشكل الصحيح بين سكان الأرض. ويبدو أن الإنسان بطبيعته البشرية الهشة يختبئ حين يشعر بالخطر، وحين لا ترصد مشاعره ذلك الخطر لأسباب عديدة لا يتردد في رمي نفسه إلى التهلكة مجدّدا.

من منظور تاريخي محض وضح أحد مؤرخي طب العصور الوسطى بجامعة باريس 8 أن الأوبئة نادرا ما تغيّر مسار التاريخ ولكنّها تسرّعه. على نسق ما يحدث عندنا اليوم، عادت مخابر طبية كثيرة للعمل بعد أن كانت معطّلة بعد تمويلها من جديد، وأطلق سراح أدوية تمّ تعطيل تسويقها للسبب نفسه.

كما أكتشفت إمكانية العمل عن بعد، وقد وفّرت ملايين

الدولارات لبعض القطاعات والتي كانت تصرف من أجل الإيجارات وفواتير أخرى. وعاد العقل إلى الواجهة العالمية في صورة المنقذ الحقيقي للبشرية، ليس فقط لعلاج الأزمة الصحية بتجنيد الأطباء ومساعديهم وعمال المستشفيات بل لفهم الجائحة في حدّ ذاتها بالإستنجاد بالفلاسفة والمؤلفين وعلماء الإجتماع لفتح أبواب المعرفة من جديد عبر سجالات إعلامية طويلة، ما جعل نسبة الوعي العام ترتفع ولو بنسب متفاوتة بين المجتمعات.

يبقى الغائب الأهم في خلال هذا التدريب العصيب لمواجهة كورونا، أو أي فيروس على شاكلته هو حماية المشاعر من التفتت، فالحرب معه تفرض علينا العزلة والإبتعاد عن الآخر عكس كل الحروب التي تتطلب التجمعات والتكاتف والتّراصّ لمواجهة أي عدو كان.

التعليم عن بعد لتلاميذ المدارس فشل فشلا ذريعا، لقلّة التفاعل مع الأساتذة، وغياب الإحتكاك معهم مباشرة ما أدى إلى فقد السيطرة على تركيز التلميذ وتوجيهه، كما فقد روح التعامل مع الآخر، وفي هذا الأمر ما يجعلنا نفكّر كيف ستكون الأجيال القادمة إذا ما طال زمن الجائحة لعدة سنوات؟

ماذا ينتظرنا إذن بعد الجائحة؟ الإجابات الصادمة تقول أن مستقبل الشركات أقلّ عولمة وتكلفة، وأكثر رقمنة، قد تتراجع قطاعات صناعية كثيرة، أمام تقلّص حركة الإنسان فحتما سيشهد العالم تقلصا في صناعة وسائل النقل، أو أنها ستحتاج لتصميمات آمنة مختلفة. غير ذلك أعتقد أن القيود البيئية ستفرض نفسها، عصر الإستهتار بالبيئة سينتهي وإلاّ فإننا سنبقى في الدوّامة نفسها. فقد أثبتت نتائج أبحاث كثيرة أن الفيروسات تتطور وتزداد شراسة كلما ازداد النشاط البشري في هتك البيئة.

يتوقع البعض أن هندسة البيوت ستتغير، إذ فيما تأخذ مكاتب العمل في الإختفاء، تصبح بالمقابل غرفة العمل ضرورية في كل بيت، كغرفة إضافية ضرورية وإن لم تتوفر يجب إلغاء غرفة مثل الصالون أو غرفة الضيوف حتى تستعمل للعمل. البنايات العملاقة، والتجمعات المكتظة لن تصبح مرغوبة فقد اكتشف الناس متعة العيش بسلام في القرى وبيوتها المتابعدة منذ طبقت قوانين الحجر الصارمة عليهم.

إن التغيُّرات قادمة، وإن كان البعض مصرٌّ للعودته لعاداته السيئة، فإن البعض الآخر بدأ يمضي قدما في نمطه الحياتي الجديد، بعيدا عن كل الملوثات التي عاش فيها سابقا.

جعفر حسن فنان المحبة بين البشر

بلقيس حسن

انه الفنان الوطني النبيل، صاحب القلب العالمي، الذي لم تغيّره الأزمنة، ولا الأمكنة، ولا الأحداث. بقي ثابت القيم الوطنية والانسانية، غرس صوته فينا التحدي منذ الصغر وألهب حماسنا للوطن والتضحيات: وكأنني أسمعه الآن ينشد:

لا تسألني عن عنواني/ لي كلّ العالم عنوان/ لا تسألني أبداً أبداً/ أنا بيتي في كل مكان..

الله ياجعفر حسن لصوتك الجهوري الصافي الذي يجعل الجميع تلهج بعنفوان الحب الوطني .الله يا تلك الابتسامة الدائمة والسامية ابدا..

لم ترخّص نفسك يوما ولم تذلها أمام اعداء المحبة وعاشقي الحروب والسلطة. بقيت شامخا بنبل روحك العراقية الأصيلة

غنيت للناس في كل العالم، للشعوب المضطهدة، للفقراء، للأطفال، للمضطهدين، للعمال، للفلاحين، للمناضلين في السجون، للمرأة المقموعة، لأصحاب الفكر، للثوار جميعا، غنيت لفلسطين وأهلها وثوارها، ولبنان ومحنته في حروبه، وأمريكا اللاتينية وفقرها وتهميش ابناءها، غنيت لليمن الديمقراطي الذي احببته وأحبك كثيرا، اليمن الديمقراطي الذي كان سعيدا بنجاح تلك التجربة الرائعة التي تم التآمر عليها وانهائها، غنيت لكل الشعوب المتألمة شرقا وغربا، شمالا وجنوبا من هذه الأرض، وكم غنيت للعراق، وأعطيته الكثير، وكم بكيت وأبكيت الناس على مظلومية شعبه بكل مكوناته زمن الطاغية، وسجنائه ومضطهديه ودماره زمن الحروب..

دائما كنت أراك امتداداً للفنان الأصيل أحمد الخليل الذي غنى للوحدة الوطنية والأخوة بين العرب والكرد، ولن أنسى قبل أعوام كنا في مؤتمر للدفاع عن الأقليات بالعراق الذي عقد بمدينة أربيل، حين أشعلت بصوتك القاعة محبة وبهجة بأغنية هربجي كرد وعرب رمز النضال، أغنية الفنان أحمد الخليل الذي تشبهه بوطنيته ونزاهة روحه وحبه للعراق وتشبهه حتى بشكله.

الله يا تلك اللحظات حيث أحييت أمامنا زمناً جميلاً مضى من تاريخ العراق، يوم كانت المحبة ترفرف على أبنائه بعيدا عن الانتماءات والتكتلات العنصرية،حيث المحبة بين أبناء الوطن كانت هي الطبيعية، وكان العداء أو التفرقة استثناء مرفوضا ومنبوذا..

الله ياذاك الزمن الذي كنت نجمه ، حيث كان صوتك يهز قاعات الثوار، والطامحين بحياة أفضل، والعاشقين للسلام والحرية، والمعاندين للظلم في العالم..

حزننا عليك كبير أيها الراحل بأناقة وسرعة وهدوء، وكم كنت أنيقا مثل رحيلك، نظيفا في علاقاتك وشخصك وملتزما في اختيارك لكلماتك وتعاملك مع الناس. مهذبا وراقيا ونجما لامعا في كل تعاملاتك، وهكذا هي النجوم التي تبقى شامخة وتعطي النور للجميع. لقد أعطيت الزمن الجميل حقه بكل شئ.

خسارتك لاتعوض أيها الراحل الكبير جعفر حسن ، وهل يمكن تعويض شريان نابض قُطع من قلب الوطن ؟

لروحك السلام أيها الانسان الكبير بقامته والفنان السامق سيرا نحو الشمس.

ستبقى معنا في كل ما أعطيت من فنٍ، ونبل، وحسن سيرة وفكر.

ألف حمامة حزينة تهدل لرحيلك صارخَة باسمك رافعة علم المحبة بين البشر كما فعلت أنت.

وداعا أيها المبدع الطيب ولتخلد روحك بسلام أبداً...

دفتر أحوال «جنة»

تتبوَّأ الرقابة مكانة عفى عليها الزمن، منذ أن أصبح العالم الافتراضي خالياً من حراسه، وصار بالإمكان الحصول على كل المعلومات بضغطة زر واحدة. صحيح أن هناك ثوابت مجتمعية يجب المحافظة عليها، ولو في أطر شكلية، لكن هل من هذه الثوابت رفض نص مسرحي لمجرد أنه عُنون بـ"السرير"؟ ما الموحي في عنوان يشكل - مجازاً – قطعة أثاث عادية؟

زهراء المنصور

كاتبة النص: صفاء البيلي

هل كان نص بعنوان الكرسي، أو السجادة، سيثير القلق، وعليه سيجبر المؤلف أن يُغيّر العنوان، كما فعلت الكاتبة المصرية صفاء البيلي، وتحول النص إلى "جنة هنا"؟ برغم التأكيد على ألّا تماسّ مخالف بين العنوان وبين المعنى داخل النص، وبرغم المعاني المترادفة أيضاً، مثل أن يكون للسرير و /ظائفه الكثيرة المعروفة: التي تمثل الراحة/ السكينة/ الطمأنينة، وماذا أيضاً؟ هو مكان معتاد للعلاقة الزوجية، وغالباً هو نفسه ما رفضته الرقابة لأجله! القلق حتى ولو بإشارة تلميح من بعيد! بينما سرير البيلي هنا مغاير ومراوغ بين معنى الأمان بأوجهه، وبين ما قالته جنة لوالدتها: "رغبة قديمة جواكي في إنك تحتفظي بذكرى تولّد عندك الرغبة في الحياة..الحياة اللي فاتتك من زمان، من غير ما تنتبهي!"

و"جنة هنا" محنة بين أم وابنة تنتميان إلى فصيلين مختلفين، تناقشان فكرة الأب الغائب للعمل منذ فترة طويلة، بحيث إن الابنة تبلغ من العمر ثلاثين سنة، ولم تلتقِ قط به! لذا، أي مشاهد لا بد أن يستغرب طريقة الحوار بين جنة وهنا – الأم والابنة – هل هذا حوار خليق وملائم أن يقدم على الخشبة؟ حواسنا تتأمل – بحذر– الهجوم من البنت لوالدتها، نأمل أن تكون مبالغة في الأداء – رغم واقعيته في الحياة الراهنة وذوبان مسافة الاحترام بين الوالدين والأبناء – ونراهن أن ينتهي هذا سريعاً، لكننا – كمتلقين – نفاجأ بأن هذا هو السياق العام لكامل الحوار، لأنه يعبر عن حالة داخلية ستكشف عن نفسها رويداً رويداً، والصورة ذات البروز الظاهر على يسار الخشبة، لرجل في مقتبل العمر هو محور الحدث، هو سبب لأن تمر جنة بالتجربة الصعبة الرئيسية في حياتها، بحيث يختل ميزانها وتصرح بأنها «مليش جدار أستند عليه»، أو أن والدها الغائب «حطمني، خلاني مخلوق مرتبك»، وغيرها من الجمل الكفيلة بنقل إحساسها للمتلقي بأنها الشخص الذي هي عليه.

الأم التي تحملت كثيراً في سبيل ابنتها، كانت تعبر عن شكل من أشكال القهر المجتمعي للأنثى تحديداً؛ هي أرملة دون أن تخبر أحداً، فضّلت أن يكون لها أب/زوج غائب موعود بالرجعة في أي وقت، تحسب له هيبة من كل دائرة الأهل والمعارف؛ كل الأمور معلقة حتى يعود، لأنه حال اكتشاف الأمر سيكون لوضعها الجديد إيقاع حياة مختلف، إذ سيتدخل الأهل في إعادة جدولة حياتها – كما حاول خال جنة تطليق أخته بعد أن طال غيابه رغم تمسكها به– حسب عرف المجتمع البائس الذي يرى من الأم العازبة (المطلقة/ الأرملة) عبئاً وخطأ لا بد من تصحيحه عبر الزواج بأي خاطب، حتى لو كان أخا الزوج –على سبيل الإمعان في البؤس–، ومن باب «الستر» الذي لا يُرى مجتمعياً إلا من عين أن المرأة عورة لا بد أن تدارى في أسرع وقت، مهملين ومتناسين أن لها حاجات إنسانية أكثر منها جسدية، والأنثى هي الشخص الأمثل لتحديد هذه الحاجات حسب أولويتها في حياتها «هي»، لا عبر حسابات تقترب من التعامل معها كـ«مقتنيات»، خصوصاً من قبل أهل الزوج، إذا كان لديها أبناء «تخص» ابنهم الراحل.

لذلك فإن تعريف الرجل بالنسبة لجنة هو ذاك الكائن الذي يتحرش بها في الأتوبيس، أو زميل العمل الذي يلقي بالأعباء لمجرد كونها موظفة جديدة في المكان، رئيسها في العمل الذي لابد أن ينال منها لأنها المطلقة "المتوفرة" حتى تأخذ بالمقابل حقوقها في العمل، أو الجار العازب الذي أحبها ورغب في الارتباط بها، لكنه عزف عن الموضوع بهمسة من والدته: لا زواج من مطلقة! وهو أيضاً "ظل الراجل" الذي خضعت له تحت مسمى الزواج، لكن حتى هذا الرباط المقدس لم يستمر لسبب سخيف، وهو عودتها المتأخرة بالليل، بينما هو يقضي وقته أمام التلفزيون بدونها وحيداً!

لا يبدو أن البيلي اخترعت هذه الحالات المذكورة، بل هي مستقاة من حكايات الإناث اليومية التي يتداولنها فيما بينهن، والمجتمع يعرفها، وعلى يقين من عدم صحتها، ينادي بها أفراده حين تكون القضية عامة، أما في وقت اقتراب هذه الحالات من حياة نفس هذا الفرد الذي يصنف نفسه مثقفاً، وحراً، وربما ليبرالياً، وخارج منظومة التفكير الجمعي، ستظهر –غالباً– الطبيعة الأولى لهذا الفرد والمكونة من مجموعة العقد –محكمة الربط–، أعراف بائدة لا يمكن التخلي عنها، والكثير من القلق فيما لو خالف و"اختلف" عن بقية القطيع المسالم.

ولـيس من المستغرب أن تختلف جنة وهنا على أبسط المفاهيم القريبة لبيئتهما. على سبيل المثال: ترى الأولى أن الشرف يساوي منديل دم البكارة، بينما ترى الثانية أنها "شكليات عقيمة" ليست لها قيمة. مفهومان متناقضان، لا توجد منطقة وسطى تجمع بينهما. الحديث أيضاًعن تجربة الختان المؤثرة كما ترويها جنة، في تجسيد موفق بصرياً، وعميق حسياً، عن الغفلة التي شعرت بها، والألم والخيبة اللذين شعرت بهما حين سلمتها والدتها لمجموعة من النساء اللاتي قطعن جزءاً منها، ثم أعطوها قطعة حلوى لم تفلح في إلهائها عن ما شعرت به هي وأخريات كن معها في نفس المذبحة المشروعة: "كل ما وحدة تخرج أمها بتزغرد..احنا نصرخ وأنتوبتزغردوا.."!

أما عن تبعات هذا الفعل، فتأتي لاحقاً حين باحت جنة لوالدتها:"جوزي ده أنا مش حاساه..تقولي لي عيب..أقولك أنا رحت للدكتورة يمكن ألاقي حل..تقولي لي عيب..وهو كان بيقوليأنتي زيك زي لوح الثلج.."، حتى مع تبرير الأم أنه فعل عادي، وحدث ولازال –في المجتمعات الضيقة طبعاً– لم تقنع البنت التي تشربت من التمرد وجعلها تنظر لكل الأشياء من حولها بعلياء وترفع، وأحياناً بتطرف، لأنها لا تستطيع رؤية الأشياء إلا بالروح التي كبرت معها.

وجنة لم تحكِ إلا عن جزء هين من تبعات الختان المتعلق بكيفيته –حسب تجربتها المـرة–، ولاحقاً عن الأثر الذي تركته هذه العملية في جسدها، ورغبتها في الحياة الزوجية الطبيعية، وهو اختصار لكل الآلام الجسدية والنفسية التي لا تزال تمارس ضد الإناث الصغيرات بالعمر، في سن ما قبل التمييز وتكوين رأي أو موقف، وتبدأ التبعات من ضعف التجاوب الجنسي، ولا تنتهي بالأورام السرطانية والصدمات النفسية الوشيكة التي يتم التهاون بها والتقليل من شأن حصولها. لم تحكِ عن عدم الثقة في الآخر، وعدم الإحساس بالأمان بوجه عام، بل جسَّدته مباشرة على الخشبة.

والملفت في نص "السرير" أنه تعمّق بهدوء داخل قضية تبدو لآخرين عادية وواردة الحدوث، وأعني بذلك مفهوم "الأسرة المستقرة"، والمكونة من أم وأب وأولاد. غياب أحد هذه المكونات يخلق شعوراً بالنقص أو الفراغ الذي يجب أن يعبأ – وبمـاذا يعبأ؟ فتلك مسألة أخـرى–، وغياب الأولاد/ عدم الإنجاب يخلق ضغطاً اجتماعياً على الزوجين. أما غياب أحد الوالدين، أو كلاهما، فيخلق أثراً كبيراً سيئاً على شخصيات الأبناء، قد لا يلاحظ بسهولة، لكنه يتبين مع التعامل القريب، في اختلال الميزان، كما في مثال جنة بتعاملها مع الذكور في محيطها.

على مستوى الرؤية، خدمت السينوغرافيا جزءاً من العرض في قطعة الديكور الرئيسية، المتمثلة في السرير، واستعمالاته المتعددة التي دار عليها الحدث كله، مدمجاً بالإضاءة المختلفة التي صنعت من السرير ضريحاً لولي من أولياء الله الصالحين تارة، أو إلى غرفة الولادة/ غرفة الختان، وغيرها. ومن باب التكثيف، كان المتأمل أن تكون القطعة الوحيدة على الخشبة مع صورة الأب، من حيث تأكيد المعنى للسرير؛ وجوداً ومعنى، ويمكن إضافة الكرسي الهزاز من باب التنويع في الحركة. أما بقية القطع، فشكلت عبئاً ثقيلاً على الخشبة، لعدم الحاجة المادية والدلالية لها، حيث حجّمت من حركة فتاتي الاستعراض اللتين تظهران في بعض المقاطع كخيال ظل، أو تدعمان الفعل القائم على الخشبة من خلال أداء حركي معزز، لكسر الحوارات «الديو» المتتالية بين جنة وهنا.

وحتى الأزيـاء المتطابقة الألـوان بين الشخصيتين الرئيستين وفتاتي الاستعراض، كانت موفقة إلى حد كبير في تأكيد فكرة انتمائهم الواحد للفكرة/ للمجتمع/ للمكان/ للمصير، بحيث إنه لما زادت حدة التوتر بين جنة وهنا، تخلت الأولى عن جزء من أكمام الزي الذي ترتديه، كان بمثابة إعلان انفجار وتمرد رسمي على كل ما هو بائد من وجهة نظرها.

عرض لا يمكن بأي حال من الأحوال إلا أن تتماهى معه، في مباراة الأداء الصادق بين عبير الطوخي وهالة سرور، ترقب تراكيب الجمل وصياغتها بشكل أقرب للحوار الواقعي بين أم وابنة وقعتا في المسافة الضائعة بين علاقة الاحترام الطبيعية في هكذا أحوال، وبين فارق السن الذي يتلاشى مع الاحتكاك اليومي والأسئلة الملحة التي لا يوجد لها إلا إجابات نموذجية جاهزة، روح التمرد التي تعلو يوماً بعد يوم، تقابلها هزيمة وانكسار وقلب يمتلئ شجناً وألماً وخوفاً من الاستسلام وكشف المخبوء، تكتشف لاحقاً أنه لا يناقش قضايا الإناث وحسب، بل يجر كل المجتمع الذي غرّب العائل الوحيد للأسرة، وحكم على أسرته بالوضع الذي رأيناه، مع التبعات الكثيرة التي تُحكى ولا تُرى.

كُتب هذا النص بروح أنثوية عالية، تستوعب معاناة الأنثى بكل التفاصيل التي تصعب على ذكر التعبير عنها، إلا بعض الاستثناءات. فبدءاً من إهداء النص إلى سعاد عمران، والدة المؤلفة البيلي،حتى التسلسل الذي ظهرت به القضايا التي قدمها العرض بتتابع مترابط لا يستشعر فيه المتلقي بإقحام أو تكرار، بالإضافة إلى المنطقية والواقعية «الجارحة» إلى حد ما، للمفعول به مثل جنة وهنا، والفاعل الذي يمكن أن يأتي على أشكال مختلفة لا يمكن حصرها. فليست المصادفة التي جعلت «عنوان» نص السرير غير مقبول رقابياً. فالأفراد في الرقابة هم هم الأفراد في المجتمع الذين تواجدوا في «جنة هنا»، حتى ولو كان هذا بين السطور.

لا أتخلى عنهم

في المرة الأولى ربما كنت أحلم. كان لدي ثلاثة أطفال. أرضعتهم. لاطفتهم. وكانوا يلعبون حولي لأيام. ثم فجأة اختفوا. صحوت من النوم ولم أرهم. لم يكن باب البيت مفتوحا ليهربوا. ولا أظن أن لديهم أية أسباب تدفعهم للهرب، إلا ربما بعض الفضو ل الذي قد يكون دفعهم نحو الخارج. سأنتظر أن يعودوا. وانتظرت. لكني لم أرهم مرة أخرى أبدا.

قصة: فتحية ناصر

في المرة الثانية لم أكن أحلم. أنا متأكدة. كان لدي أربعة أطفال. حممتهم أيضا ولاعبتهم، ثم صحوت فجأة ذات يوم ولم أجدهم. إلى أين يذهبون. رائحتهم في كل مكان في البيت حيث نعيش. لكنها تنتهي عند الباب. من يفتح لهم الباب ليهربوا؟ لا أظن أنه صاحب البيت. فأنا أعيش معه منذ سنين، وأعتقد بأنه يحبني. لماذا سيتخلص من أطفالي ؟.

في المرة الثالثة، حرست أطفالي طوال الليل. أمضيت أياما لا تغمض لي فيها عين. أخشى أن أنام وأصحو فلا أجدهم، كما يحدث في كل مرة. لدي أربعة أطفال هذه المرة أيضا. وأريد أن يبقوا معي. ليتهم لا يكبرون حتى !. لكن ...

هذه المرة، أخذني صاحب البيت الذي أعيش فيه إلى مكان ما. أنا غالبا حبيسة المنزل وأشعر بالدوار حين أخرج منه. لكني لم أعاند حين أخذني معه ربما استطاع العثور على أطفالي السابقين وسيأخذني إليهم. بقي أطفالي الجدد في المنزل، حيث أنا متأكدة أنهم في أمان، وزوجة صاحب المنزل معهم سترعاهم في غيابي.

بدا لي الطريق طويلاً. وشيئا فشيئا لم أعد أرى أية مبان ولا أي بشر يمشون في المكان. أوقف السيارة، ونزل معي في مكان كبير. فارغ. لا يمكن أن يكون أطفالي هنا، فكرت. وبينما أتأمل المكان من حولي بفضول، أحسست به يمشي بعيدا عني. التفت، كان ذاهبا باتجاه سيارته. ربما نسي شيئا ما وعاد ليحضره. لكني سمعت صوت كلاب تنبح من بعيد فركضت نحوه بسرعة وأنا خائفة، وتمكنت من الدخول من باب سيارته المفتوح قبل أن يهم بغلقه. كان قد جلس على مقعد القيادة فوقعت في حضنه. ضحك. وغمغم بشيء لم أفهمه. ثم تحرك بالسيارة لمكان آخر. وتوقف في مكان كبير أيضا وفارغ، ونزل معي. قدم لي بعض الطعام. كنت جائعة قليلاً. لكنني خائفة أكثر، فلم أتركه يغيب عن عيني. كلما حدقت في الأكل راودتني وساوس تجعلني أرفع بصري سريعا لأبحث عنه. وصدق حدسي! . كان يخطو مبتعدا عني، رويدا رويدا، ويتخفى خلف الصخور. بدأت أدرك، ولا أصدق .... أيعقل أنه يريد التخلص مني؟

حقا! لماذا؟. كنا نتشارك المسكن طوال عمري، ولم أعرف أي حياة خارج بيته. كان كريما معي جداً، هو وزوجته وأطفاله، الكل كان يحبني. وكنت أفكر دائما بأنني محظوظة لأنهم أهلي. فكثيرا ما رأيت من مثلي يزورون بيتنا وهم بحالة يرثى لها. فنتبادل نظرات الاستغراب. وأحمد الله أنني أفضل منهم، وأن لدي عائلة.

نظرت له باستكانة. أتوسله. إن لم تكن ستعيد لي أبنائي فلا تتركني هنا. أنا لا أعرف كيف أعيش خـارج البيت. وعلى الأغلب فلن ينقذني أحد. سأموت في هذه الصحراء أو ستنهشني الكلاب التي لا تزال تنبح.

لحقت به. أمسكت ببنطاله بقوة أم تريد أن تعود لأطفالها .. أيكون نصيبي من الحياة هو إما أطفال أحرم منهم أو يحرمون مني؟! . استعطفته بصوت ضعيف. لقد ربيتني صغيرة فلماذا الآن ترميني بهذا الشكل؟ هل صرت تحب أطفالي أكثر مني؟ ولم أنتظر أن يتأثر بكلامي ويقربني إليه بحنان غامر، بل فرضت نفسي عليه واستطعت الامساك بكتفه. ثم بسرعة، تمسكت جيدا بقميصه وغـرزت جزءا صغيرا من أظافري الطويلة في سطح جلده، بحيث أهـدده . إن حاول إفلاتي، سأغرز أكثر.

عدنا للسيارة مرة أخرى، وكان غاضباً. بدا وكأنه شخص آخر غير الذي عرفته طوال حياتي. قاد السيارة الآن بسرعة جنونية، الشباك إلى جانبه مفتوح ولسوء حظي، أنا ممسكة بكتفه القريب من الشباك. يترك المقود لبرهة كل حين كي يدفعني بيده الأخرى. يريد أن يلقي بي للخارج. تزحزحت من مكاني قليلا بعد عدة ضربات. لكنني استطعت التشبث بذراعه، ففتح باب السيارة كله !!. شعرت بتيار الهواء المار بقرب السيارة المسرعة يساعده في التخلص مني. ما زال يقود بسرعة. الهواء قوي. وقلبي يدق بقوة شديدة حتى أنه يؤلم صدري. أنظر إليه. لا يبدو عليه تأنيب الضمير. أستغيث. فيزداد وجهه قسوة. يسحبني الهواء نحو الخارج، فأعرف أني إذا خانتني قواي الآن في أي لحظة، وتراخت أظافري، فلن أقع على أقدامي كما أقع في كل مرة بل ستدهسني عجلات السيارة وأمـوت .. أنظر إليه .. لا ينظرإلي. يستفزني بتجاهله. وتحركني غريزتي للانتقام منه. أنا كائن أليف ووديع ولكن عند اللزوم لا تنقصني الشراسة. بل لست أبالغ لو قلت بأن في جيناتي ما يجعلني أعود لعائلة الأسود. بل أنا حقا أسد صغير. ويمكنني أن أدافع عن نفسي جيدا دون الحاجة للاستعطاف. ولكني لآخر لحظة كنت أريد للأمر أن ينتهي دون أن أؤذيه. أو ربما كنت لآخر لحظة لا أصدق أنه سيؤذيني.

في النهاية، كان لا بد أن أصدق وإلا سيفوت الأوان للتصرف. من حقي أن أدافع عن نفسي، وعن حقي في الحياة . وسأفعل .

****

لم أواقفه يوماً على ما يفعله. حتى أنني حين عاد للبيت وعلى وجهه ويديه جراح وآثار عض، شعرت بالراحة. أنا أم مثلها وأشعر بما تشعر به.

بدأ يشتكي، وهو يضمد جراحه: المشاغبة. كاد أن يصطدم بالصخور بسببها، ويموت. تعاركت معه أثناء القيادة. عضت أنفه وكادت أن تفقأ عينه. وفي النهاية اضطر لشراء حبل وربطها به إلى إحدى الصخور.

غدا، سيتخلص من ثلاثة من أطفالها ويترك الأنثى الأجمل من بينهم لتعيش معنا، كالعادة. يربيها، ثم يزوجها لتنجب، ويبيع أبناءها كل مرة لعدد ثلاث بطون. وبعد ذلك يتخلص منها . كما تخلص من أمها قبل قليل ومن أم أمها وأم جدتها قبل سنين. هل يحق له أن يفعل ذلك؟. يقول لي دائما بأن شكل حياتهم مختلف عنا. هم لا يعيشون كأسرة. بل إن الأم منهم لا تحب العيش مع أطفالها وبعد فترة بسيطة تهجرهم. بل إنها أحيانا تأكلهم !!. وهم أيضا لا ينتظرون منها البقاء معهم طويلا بعد الفطام. لا أصدق كل كلامه. لأنني في قرارة نفسي أؤمن بأنه لا أم تترك أبناءها أبدا. قد يكون الانسان هو من ابتكر هذه الكذبة، من أجل أن يتسنى له تفريق عائلات الآخرين كما يروق له، ودون أن يشعر بتأنيب الضمير.

يقول لي أيضا بأن تلك المشاعر هي خاصة فقط بالإنسان!. ولا أصدقه . لأنني رأيت كيف اعتنت بأطفالها. كيف كانت السعادة بادية عليها وهم يطوفون حولها. وكيف جُنّت حين باع المجموعة الأولى من أطفالها، والثانية ! .. كانت تبحث عنهم في كل مكان. وتموء، مواءً يشبه البكاء. تطوف كل أرجاء البيت. ثم تتوقف لتموء في وجهي. كأنها تتوسلني لتعرف ماذا حل بأبناءها. وحين قلت له بأن المسكينة قد فقدت عقلها بعد اختفاء أبناءها، أجاب ساخرا بأنها لم تكن تملك واحدا من الأصل.

ضميري يعذبني. وأريد أن أوجه له تهمة قتل القطط والاتجـار بأطفالهم. ولكن الاتجار بالحيوان .. لا يعتبر جريمة !. ليس بعد.

****

أعرف أنني سأموت بعد قليل. فقد رماني في مكان لا يمكن فيه لأحد أن ينقذني ، وقيدني بشكل لا تكون لدي معه أي فرصة للنجاة. سأموت مقيدة، وجائعة، وحزينة. وكل ما أفكر به هو أبنائي الذين لن أراهم مرة أخرى. هل سيظنون أنني تخليت عنهم؟. ثم بدأت ألوم نفسي وفكرة غريبة تسيطر علي ... لو كنت أعلم ما سيفعل بي، لكنت أكلتهم قبل أن نخرج من البيت. نعم، كنت أكلتهم. فما كان شي ليفرق بيننا لو أنني فعلت ....

آكلهم. ولا أتخلى عنهم.

السيدة نخلة

فاطمة محسن

بدء حكمتي وانتهاؤها
لي قد تجلّيا :ماالذي سمعته؟
رئينه الآن مختلف تماما
لا أسمع غير آه وأوّاه!
غير اجترار شبابي القديم
نيتشه

لا أعرف لماذا تسحبني المقاهي لحكاياها، رغم أني لست ممن يطوف بها كثيراً، لكنها تتربص بي لتسقيني شاياتها المبتكرة، كان يوما شاقا أشعل في جسدي فتيل التعب حين حدثتني لتدعوني للخروج ،أخبرتني بحاجتها الملحة للتغيير، غريبة هي، تحاصرها وحدة قاتلة، كان للاعتذار طعم الخيبة. سار بنا الوقت وسرنا به حتى استقرّ بنا في مقهى شعبي. أخذتني رائحة السمك المشوي لطفولة يزخر بها البحر قبل أن يقرر الرحيل تاركا زرقته تجلدنا كل يوم ربما مل قنانينا التي كنا نحشوها ألما وخيبة، حزناً نتفرد به، استغاثات لا تسمع، مواويل نحفظها لنرددها عنده وبين آه وآه كان يتسرب منا، فاض به الحزن وامتصّ ما تبقى من مياهه فأصبحنا ننوء بحزننا حيث لا معبر له، لا بحر نخبئ الحزن في ماءه، ولا طبيعة نتكئ على لونها لتخضر قلوبنا من جديد،كنت أغوص بهمومي فأشرد عن حديثها كثيرا،لكنها سحبتني لصوتها وهي تردد كلمة سر نحن النساء كم نحب هذه الكلمة ، أقسمت بأغلظ الإيمان أن لا أخبر أحداً. كنت صادقة جداً وأنا أردد اسم الله. ضحكنا حين علقتُ على طرق القسم التي كنا نقولها ونحن صغار.

(والله العظيم، في ذمتي، في صلاة أمي وأبوي)...هي ثقافتنا ياعزيزتي تاريخنا الذي تجهلين، بـراءة قلوبنا الندية، أفياء النخل المـزروع بعروقنا،حتى تعرفي ذلك لابد أن تشربي ملح البحر، لابد أن ترتسم الخرائط على جسدك وأنت تغازلين بحرا كان جارا لك،

قولي .... فللأسرار لذة لذيذة فبوحي بما لديك، أخبرتني حينها أنها تحب هكذا بكل بساطة لولا الناس لصرخت من فرحتي، سعدت كثيراً بهذا الخبر، خاصة وأنا أعرف كم تحتاج لهذا الحب، كان الفضول يبعثر ألوانه على ملامحي وأنا أسألها عمن يكون ..... كانت الإجابة (.....) صارخة، مميتة، قاتلة، إنه هو حبيبي كدت أصرخ بها، لكني تعقلت ورددت بيني وبين نفسي هذا حبيبي يا عزيزتي، هذا الذي يبعث الهواء في الهواء كي أتنفس حين تمر بي أزمة الربو أو حين تنفث مصانعنا سمومها على صدري فأقبل الأرض من أجل نسمة هواء لولاه لكنت اختنقت يا صديقتي، عذرك أنك لا تعرفين، كنت كثيرا ما تسألينني عما إذا كنت أحب فأخبركِ كذبا بأن قلبي يغرد وحيداً لا لسبب سوى أنه كان يحب أن أبقي علاقتي به سرية حتى لا تسلط علينا العيون فنسعد بحبنا، كانت تكمل حديثها بينما عقلي يفكر بسرعة أية قدرة هذه التي تمتلكها عقولنا على التفكير في ثواني بسيطة كنت أمر بكل محطاتنا، كل البساتين التي زرعنا نخيل مشاعرنا عليها، كلما رسمت لوحة كنت أستمدها من شموخ عينيه كان يحب النخيل كثيرا وكنت أسرف في رسمها حتى أن أحد أصدقائي يسميني بالسيدة نخلة، أكان يستمد شموخه منها أم انه سرق الخضرة وخبأها بقلبه، أم من العناقيد كان عطاءه ودفء مشاعره إنه حبيبي يا صديقتي فلا تدمي قلبك وقلبي، تقولين يحبك ؟

نعم أخبرني منذ ثلاثة شهور أنه يحبني، قال بأنه يجهل كيف تسرب الحب لقلبه هو البتول الذي ماعرف الحب، يبدو أنني حللت عقدته، هل كان يحتاج لحب مستورد كي يتقن فعل الرجولة، قولي لي هل أنا جميلة؟ نعم ياحبيبتي جميلة جدا والدليل أنك أوقعتي به .... يعود عقلي لتفكيره السريع تطوحني الأسئلة قلبه بتول لابد أنها كاذبة، كم يحتوي ضميرك من كذب لايطاق بدأت أضيق بكلي وبك وبالسمك والناس ، لكن لا هي لاتكذب كأني سمعت هذه الجملة من قبل

(أجهل كيف تسرب الحب لقلبي، إنها أنتِ وعيناكِ التي انطقت شراييني). هي قالت تسرب الحب لقلبه هذا كلامه، هذا ماقاله لي ذات بوح، لا هي حتماً كاذبة، كانت ابتسامتها تشرق بالمكان لتبوح بسعادتها، ياربي أي ارض تلك التي تحتملني، سأريك شيئا اختبأت داخل حقيبة يدها الكبيرة، تفتش عن سكين أخرى لتطعنني بها، أخرجت هاتفها النقال، وراحت تبحث في رسائلها وبـدأت تقرب شاشته من عيني، هذه رسالة منه (.....) إنها الرسالة التي أرسلها لي البارحة، يا إلهي .. رسالة أخرى.. وأخرى كلها ياعزيزتي تسكن صندوق الوارد في هاتفي.

ست سنوات مضت على ما أظن، ست سنوات وأنا..... بماذا أصف نفسي ؟ أمشي على الجليد فتتجمد أطرافي لا... هي نار تحرقني، صوتك ياصديقتي تحـول لنقيق ضفادع، هل تسكتين، دقائق فقط لأملم أطراف الحزن الخانق، هل أخبرها وأقضي على هذا الفرح، هل أصمت، كدت أكسر أصابعي من الطرقعة كحالي كلما استبد بي قلق ما، أيتها السماء ألن تمطريني برحمتك، لماذا أفقد السيطرة، أنا عاجزة تماماً، كان خالي يقول أنت لاتشبهين النساء، راقية كشمس، شامخة كنخلة، متلألئة كنجمة أفسدتني ياخالي بتكرار كلامك، أمي.... لماذا أحسنت تربيتي؟ لماذا أرضعتني قيمك؟ أريد أن أخبرها وأمزق سعادتها أجمع أشواك السمك وأغرسها في جسدها أو جسده، أخنقها بشالها ، أسلط عليه من يوسعه ضربا، أرمي عليه كل الشتائم ، قلت له يوما أني سأقتله لو خانني ،سأقتله إذن، عيناها وهذا البريق أعرفه تماما كان يرافقني وأنا أنظر لعينيه أو حين أخلو بألواني أبعثرها على نخلاته، مرة رسمت النخلة بلون برتقالي ومرة أخرى كانت سطوة الأحمر تخترق سعفات نخلاتي أما حين جربت أن ألون السعفات بألوان مختلفة كنت متيمة حينها بدت السعفات مزهوة بألوانها كقلبي وهو يزهو بصدقك،عدت للبيت وإخطبوط الحقيقة يعتصرني، ربما أحبها فعلا، حملت هاتفي وكلمته، سأرمي عليه شرر حقدي، وتخونين صديقتك تلقين بسرها إليه .... جاء صوته يقطع ماتبقى ..

ضحكت فشر البلية مايضحك، حبيبتي قال فابتلعتني السابعة، ربي لماذا لم تجعلهن مئة أرض كي يحتوي عمقها ألمي ، أحبك بعثرها كشظايا اخترقت ظهر معارض وهو يسقط غضبه على شارع مرصوف ليتعرج كحياته التي قرعت عليها طبول الجوع والبطالة، يصله صوتي مبحوحا، أحقا تحبني،ألم تحب غيري، قبلني عبر الهاتف تلك الليلة أكثر مما يجب كأنه يعرف أنه لن يسمع صوتي بعدها .... أغلقت الهاتف كان الهواء يتناقص، ناديته كي يمرر لي نسمة من هواء، صورته بقرب سريري يخرج من إطارها يتغير لون وجهه، يسقط على الأرض، يتحلل، رائحة العفن تملأ الغرفة، أسعل بشده، يسرع والدي بجهاز التنفس، تقرأ والدتي ماتبقى من سورة الوطن فينكسر جناح الطير الذي حام بين عيني وأتحول فراشة تحمل نخلات بلا سعف لوادٍ بذاكرة معطوبة أحرقتها كي أنام بلا أسئلة .

أرِه ما لم يره

كعدد الأيام التي تجسّستم فيها الأرض، تحملون ذنوبكم أربعين سنة.. أنا الرب قد تكلّمت، لأفعلنّ هذا بكل هذه الجماعة الشريرة، في هذا القفر يفنون، وفيه يموتون. في هذا القفر تسقط جُثثكم، لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكننّكم فيها، وأما أطفالكم الذين قلتم يكونون غنيمة، فإني سأُدخلهم، فيعرفون الأرض التي احتقرتموها. جثثكم أنتم تسقط في هذا القفر، وبنوكم يكونون رعاةً في القفر أربعين سنة.

نص:
مهدي سلمان

من سفر العدد

ضَعُوا كُلُّ وَاحِدٍ سَيْفَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَمُرُّوا وَارْجِعُوا مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ فِي الْمَحَلَّةِ، وَاقْتُلُوا كُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ.

من سفر الخروج

أربعون عاماً وأكثر مضت منذ كامب ديفد، أربعون عاماً، وهذه الأمة ما تزال في قفرِها، وفقرها، وتيهها، أربعون عاماً، يقتلُ بعضُها بعضاً، وتستغرق في التيه أكثر، أربعون ولمّا تهتدِ بعد، أو تجد بوصلتها للخروج. أربعون، وأكثر، كأنما كلما انتهى تيه، عوقبت بتيه جديد!

.1

إننا في تيهنا من أربعين،
جفّ هذا القفر، لا ماءَ ولا مرعى،
ولا شكَّ بأنا ها هنا فيه مقيمون،
وما ثمّ يقين.
ربما كنا هنا، أو أننا في شاشة العرض
رصاصٌ كالغبار،
ربما كان الذي نعبرهُ منفى،
طريقاً لوصولٍ طائش
أو ربما كان انتحارْ
لم نعد نذكرُ موسى،
بهتت صورته في أعين العميان
في هذا الظلام المحض
لم يبق لنا من ذكريات عنه إلا خيط أوهام
ومن أحلامنا عنه سوى خيط اصفرار
صاعداً للرب كان
حينما جاء بهذا الجسد العجل،
بهذي اللعناتِ السامريّ
قال يا يوشع ما هذا؟ فقال:
«ربما صوت قتال!»
ربما شعبك يا موسى
يعد العدة الآن لساحات النزال
قال: يا يوشع، لا
إنه ليس صياح الغالبين
أو أنين الخاسرين
إنني أسمعُ أصوات غناء
هكذا كنا نغني، حول هذا الجسد، الرب الجديد
حول هذا الجسد العجل، رقصنا وشربنا
ولعبنا، وذبحنا الوطن القربان
نمنا ثم لم نصح سوى في قفرنا هذا
فيا رجع النشيد
قل لنا أين أريحا؟
فلقد أنهكنا الترحال عاماً بعد عام
ولقد تهنا بهذا القفر بيداً بعد بيد
إننا في تيهنا من أربعين
حين عاد السامريّ
يصنع العجل لكي نعبده
مرة أخرى، فيا ربّ ألم ينته هذا التيه؟
أم أنك قد أدخلتنا تيهاً جديد..
إننا في تيهنا من أربعين،
صهرتنا شمسُ هذي الصَحَراء
صهرتنا ظُلمة الخوفِ، ومسمومٌ هنا
من حولنا هذا الهواء
كلما نسهو رأينا خوذاً مصنوعة
من أعين القتلى، وقتلى، ودماء
كلما نسهو رأينا السامريّ
ماشياً قُدّامنا في أمةٍ مجذومةٍ
يدعو، ينادي (لا مِساس)
كلما نسهو سمعنا صوته
يومضُ كالبرق..
شفاهٌ يبست، مزّقنا هذا اليباس
يا إلهي فمتى ننجو من التيه
متى نبلغ يا ربُّ أريحا؟
أمةٌ مدّت يداً نحو الصدى
وارتدّ من خلفٍ لها، لا شيء ينجيها
توهّمنا وأخطأنا، فسامحنا وأنقذنا
الصدى من خلفنا، والوهم في أعيننا
يا ربُّ أنقذنا، أو امنحنا تراباً لم تشقّقه الخيانات
وأنقذنا أو امنحنا يداً تُرشدنا كي نستريحا
مزّقتنا طعنات الأهل، من أين اتجهنا
لم نجد إلا سيوف الإخوةِ/ الأبناءِ في الصدر
وأرباباً خوارا
مزّقتنا هذه الغربة
هذي أوجه تشبهنا
لكنها غاضبةً تأكل من أذرعنا
كضباعٍ تلحق الجثة أحياناً، وحيناً تتوارى
هذه الأوجه منا، فلماذا نهشت من لحمنا؟
ولماذا قتلتنا، ولماذا شربت من دمنا؟
ولماذا رقصت في معبد العجلِ
لماذا حينما قدّمت القربان
لم تذبح إلا وطنا؟!
ليتنا قلنا أريحا
حينما قال لنا موسى، أريحا
يا إلهي ليت هذا السامريّ
لم يصغ عجلَ (السلام)،

ليتهُ لم يبصر الوحش الرسولا
ليته لم يرَ في قبضته إلا السراب
2.
يا إلهي أرِه ما لم يرَه،
أره الموت الذي جاء به،
الوحشةَ في التيه،
وشعباً ضائعاً، يحتزّ كلٌ منهم رأسَ أخيه
خاشعاً فليصغِ للصيحات
تنسلُّ من الحلقِ إلى الحلقِ
وللطعنة من خلفٍ، وللنارِ التي تشتعلُ
أرِه القفرَ وقد سوّده هذا الدمُ اليابسُ
فلتحصد رؤوساً فغرت أفواهها واستسلمت يا منجلُ
أرِه ماذا سيبقى من بنيه
ذاكَ ماضيه، وهذا دون شكٍّ قدره.
قُل له: يا سامريّ..
إنه ليس رسولاً،
إنه الشيطان
فانظر كفّك المدميَّ
إذ تقبضُ فيها أثره
إرِه ما لم يره
جسداً عجلاً وفي قرنيه نار
قرنه الأول شقّ الأرض فاهراقت دما أسود
من باطنها الأرضُ البوار
قرنه الآخر رمحٌ راكز في مقبرة
رأسه يخرج من «خيمة داوود»
ولا نعرف إن كنا وصلنا آخره
أره ما لم يره،
أمةً تأكل من أحشائها
وخوارَ الأنظمة
ودمَ القتلى الذي يصطكّ في الأقداح،
ليلاً معتماً يمتصُّ روحَ الكَلِمة
مدناً تسقطُ في عتمتها
موتاً بلا عينين،
بحراً يطردُ الأزرقَ نحو الطمي،
قتلى يفتحون الباب في يأسٍ
ويأساً يتحرّى حذرَه
أرِه (في لحظة الإعلان عن صفقتهم)
طفلاً على معناه شدّ القدر الرخو
وطفلاً لم يجد معنى، وحرباً دونما رأسٍ
بكفّين من العدوى، وقلبٍ يابسٍ،
تحضنُ حرباً مثلها
– «هذا شتاءٌ للصدى» قالت
وضمّتها إليها
أره حرباً من النفطِ يسيل الدمُ من أطرافِها
تحضنُ حرباً قَذرة.
إنه ليس رسولاً
إنه الشيطان
فانظر كفّك المدميَّ
إذ تقبضُ فيها أثره
سترى يا سامريّ
أن كفاً صافَحَت قاتلها جاءت بهذا الموت
فاصنع عجلك الفتنةَ من هذي البيوت
خذ إذن من أوجه الأطفال،
من فضة أحلام النساء، من دم الفتية،
خذ من ذهب الضحكات..
واصنع عجلك الملعون،
واصنع ألف موت
خذ إذن من خبزة المحتاج، من دمعةِ أم،
من دعاء مهملٍ.. خذ ما تريد
خذ من الدفء الذي في يد فلّاح
وخذ من رنة المفتاح في الباب
ومن حرية الساق التي جرّحها قيد العبيد
خذ من الأعمار، من آجال أجيال،
ومن شوق المريد..
خذ من الطين، من البحرِ،
وخُذ من أرضنا ما شئت، خذ،
ماذا تريد؟
كي تصوغ الجسد العجل
وكي ترسلنا في تيهنا
مرة أخرى، وأخرى.. من جديد
إننا في تيهنا من أربعين
أمةٌ لم تحيَ لم تُبعث ولم يودِ بها الموت
ولم يُولد لها من وُعدوا أن يسكنوا أرض أريحا
فاقض يا ربُّ إذا شئت
أو امنحنا يداً تُمسكُ بالسيف
ولكن هذه المرة لا كي يطعنَ الابنُ أباه
وجهّي سيفك يا أمتنا
لو مرةً واحدةً،
لو مرّةً واحدةً
لو مرّةً واحدةً
يا أمّتي الوجهَ الصحيحا.

تفادت مطبّ الصمت وباحت بما يجول في نفسها

علاقة المرأة باللغة

سوسن حسن

هناك مثل صيني يقول بأن اللغة سلاح المرأة، وأن المرأة تفعل كل ما بوسعها كي لا يصدأ هذا السلاح، فاللغة رأس مالها الوحيد. وهناك من اللغويين من يقول بأن المرأة لشدّة حذرها في استخدام اللغة، تقع كثيراً في مطب الصمت، حين تشعر بأن الكلمات لا تسعفها على قول ما تريد قوله.

وأنا أكتب أطروحة الماجستير عن انعدام الأمن اللغوي لدى النساء المهاجرات من شمال أفريقيا، مرت عليّ مشاهد أدبية لكاتبات كثر تطرقن لعلاقتهن باللغة في وصفهن لها بأنها سلاح ذو حدين، فهي كالأيام، قد تكون يوماً لنا ويوماً علينا. أبرز مثال لرواية تضع قاصتها في انعدام أمان لغوي هي "كدمات النحل" للأرجنتينية لورا ألكوبا، إذ تحكي صفحات الرواية علاقة الكاتبة بلغتها الأم، الإسبانية، واللغة الفرنسية، التي اضطرت لتعلمها لدى هجرتها مع أمها الى باريس بعدما تم سجن أباها في ستينات القرن الماضي بسبب آرائه السياسية، فتعبّر في صفحات الرواية عن شعورها بعدم الأمان عند تحدثها هذه اللغة الجديدة، غير المتمكنة منها: "أخجل من لهجتي".

كلما طلب أحد منها مشاركته الحديث باللغة الفرنسية، تشعر أنها تكرر ذات الكابوس، إذ هي في الباص عارية وسط جموع غفيرة، وهي لا تعرف كيف وصلت عارية و كيف يمشي الباص بهذه السرعة، رافضاً التوقف، والكل يسمعها ويعرف أنها أجنبية وأنها لا تتقن الفرنسية بشكل جيد بعد. هذا كابوس فعلي عانت منه لورا وهي طفلة، وكان انعكاس لخجلها من لهجتها الإسبانية عند تحدثها باللغة الفرنسية ، وكرهها للغتها الأم، لتشعر فجأة بأنها عارية، دون لغة. هذه الاستعارة التي استمرت لصحفات من الرواية تعكس علاقة المرأة الحميمة باللغة، التي إن خسرتها، خسرت كل شيء، وكيف أن لورا قاومت حتى تمكنت منها، ليصبح سلاحاً لها، لا عليها.

تجد سيمون دو بوفوار بأن "المرأة لا تولد امرأة بل تصبح امرأة"، وكذلك لغتها التي تقوى أو تضعف بحسب خضوعها للظروف الاجتماعية التي قد تفرض عليها. تقول سيمون أنها لم تدرك مدى الاضطهاد التي تتعرض له المرأة من قبل المجتمع إلا في سن الأربعين، لأنها لم تتعرض له قط، فقد ولدت في وسط اجتماعي شجعها على إكمال تعليمها، وتقلد مناصب مرموقة بفضل اللغة. لم تكن تدرك بأن البعض الآخر من النساء لم يحظين بهذه الفرصة، وبأن اللغة ليست حليفة الجميع.

هناك من يستعمل اللغة سلاحاً ضد المرأة، من أجل إحباطها والتقليل من شأنها، لأنه يعرف مدى قوتها وقدرتها على التفوق. المرأة تفعل كل شيء بحب، وان تحدثت أو كتبت، فعلت ذلك بحب، مختارة أجمل الكلمات الموجودة في مستودعات عقلها المنظم. وهي تتحدث عن الكائن الذي يصبح امرأة، ترمز سيمون إلى شيء من الضعف جعلها تربط نفسها بعالم الرجال، حتى لا ينظر الآخرون اليها بدونية، أو يسند إليها مهام تعيقها من إعتلاء عرش المثقف، كالزواج وإنجاب الأطفال، والجلوس في المنزل. أنا لا أتفق مع سيمون، لأن المرأة من فرط قوتها تستطيع القيام بكل هذه المهام وهي مبتسمة راضية عن نفسها.

ما سر علاقتها المتذبذبة مع اللغة اذاً، التي قد تسعفها حيناً و تغيب عنها حين آخر؟

هل هو الصمت ؟ ذلك الهدوء الذي تحتاج إليه المرأة كي تستجمع قواها وتنطلق مجدداً، مثل الصمت الذي وصفته فيرجينا وولف في "إلى المنارة"، وهي تشبه السيدة رامساي، الزوجة والأم، بالمدفأة التي يجتمع أفراد الأسرة حولها، لتعطيهم من دفئها دون كلام أو طلب مقابل. هناك الصمت الذي تحدثت عنه كذلك في "غرفة تخص المرء وحده" وهي تفكر بالجملة النسائية، فهو لا يعني بالضرورة أن المرأة ضعيفة، أو أنها تعاني من انعدام الأمن اللغوي، بل أنها في حالة ترقب لما يتوقع منها أن تقول، وما ترغب هي أن تبوح به.

تتحدث فاطمة المرنيسي في "أحلام النساء» عن الحدود التي تفصل الرجال عن النساء، وعن ما أمره الأباء من احترام لهذه الحدود في الكلام والفعل، إلا أن المرأة عرفت كيف تخترق هذه الحدود باللغة التي عملت على تنميقها، والتحدث بها بالعرف السائد، كي تسمع صوتها.

أولئك النساء اللاتي لا يعترفن بالقوانين اللغوية الأبوية قررن صنع كلماتهن الخاصة وإدراج اسمائهن بين كل مذكر، فولدت الكتابة الشاملة التي ترفض الكثير من الحكومات الأوروبية الإعمال بها، معللة بأنها تسبب انعدام الأمن اللغوي عند الكتابة أو التحدث وتعطي اللغة بشاعة، كأن تقول أو تكتب على سبيل المثال "الطلاب والطالبات"، بعدما كانت كلمة "الطلاب" تشمل الجنسين. اللغة الشمولية أعطت اللغة الفرنسية كلمات حروفها مفصولة بالنقاط étudiant.e ومناصرو المرأة في إسبانيا قرروا استحداث اللغة المحايدة، فأضافوا حرفاً في نهاية كل كلمة يرمز للرجل والمرأة.

واحة الفكر

في ضرورة المادية المناضلة

فلاديمير لينين

ترجمة وإعداد: هشام عقيل

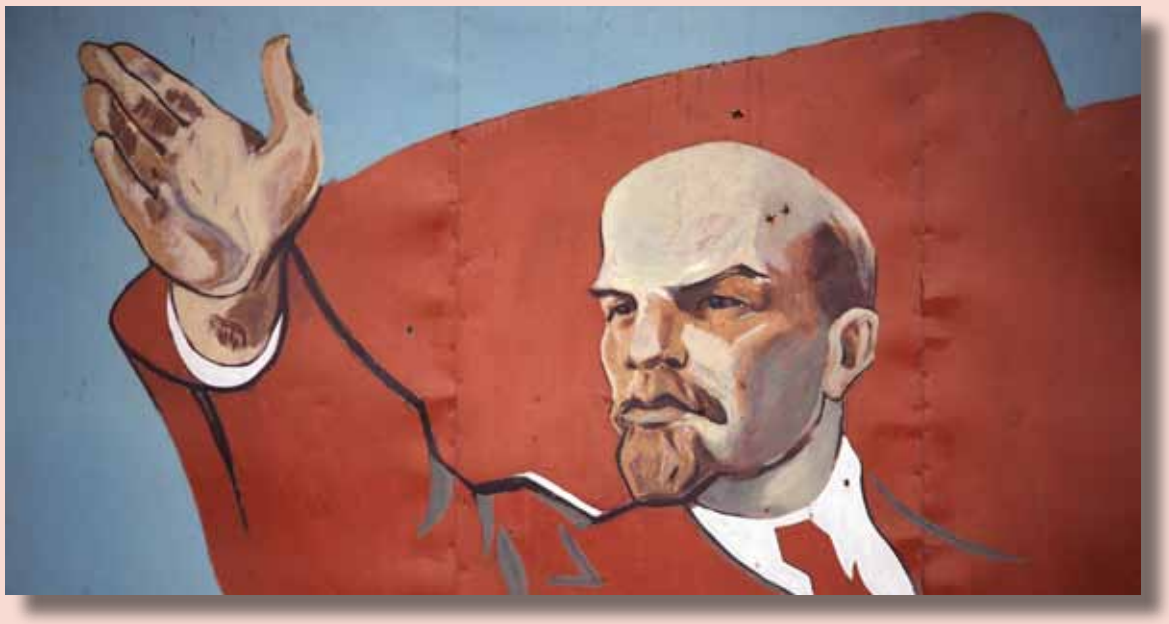

في واقع الأمر ليس كل المساهمين في مجلة (تحت راية الماركسية) [Pod Znamenen Marksizma] شيوعيين، ولكن جميعهم ماديين صلبين. أرى بأن تحالف الشيوعيين بغير الشيوعيين هو ضروري إطلاقاً؛ وهذا هو غاية هذه المجلة بالتحديد. إن أكبر الأخطاء التي يقع فيها الشيوعيون (وهذا عادة ما تقوم به أي جماعة ثورية ناجحة في بداية ثورة كبرى) هو الاعتقاد بأن الثورة لا يقوم بها إلا الثوريين. على العكس، لكي تنجح الثورة لا بد أن يبدأ الثوريون بالاقتناع بإن دورهم محصور في كونهم طليعة الطبقة المتقدمة وعليهم أن يترجموا هذه الفكرة في كل عمل لهم. ومتى تعد الطليعة طليعة؟ حين تتفادى الانعزال عن الجماهير الشعبية، وبالتالي تتمكن من قيادتها إلى الأمام. من دون التحالف مع غير–الشيوعيين في شتى المجالات لن ننجح ابداً.

... من الواضح بأن المجلة التي تعرّف نفسها كمادية مناضلة عليها أن تكون هيئة نضالية في المقام الأول. عليها أن تفضح بلا كلل كل «الخدم الكهنوتيين المختبئين وراء العباءة الأكاديمية» (حسب تعبير ديتزغن)؛ سواء أكانوا ممثلي الأكاديميات العلمية الرسمية أو كتاب أفراد يطلقون على أنفسهم «اليسار الديموقراطي أو أتباع الآيديولوجيا الاشتراكية».

...إن أكبر الأخطاء التي يمكن أن يرتكبها الماركسي هو اعتقاده بأنه من الممكن للملايين من البشر (وبالأخص الحرفيين والفلاحين) الذي أخضعهم المجتمع الحديث لشتى الأشكال من الظلامية، والجهل، والخرافة، أن يخرجوا من هذا الظلام عبر التعليم الماركسي وحده. على هذه الجماهير أن تزوّد بالمواد الدعائية المادية، وعليها أن تتعرف على وقائع مختلف مجالات الحياة؛ يجب الاقتراب من الجماهير بكل طريقة ممكنة، وذلك لإثارة اهتمامهم وإبعادهم عن خمول الفكر الخرافي وتقريبهم لمختلف الزوايا بمناهج مختلفة، إلخ.

... بالإضافة إلى هذا النوع من التحالف الذي يقام مع الماديين الحقيقيين الذين لا ينتمون إلى الحزب الشيوعي، علينا أن نقيم تحالفاً (وهو لا يقل أهمية) مع علماء الطبيعة المعاصرين الذين يميلون نحو المادية ولا يهابون الدفاع عنها ولا الحديث باسمها ضد التقليعات والهذيانات الفلسفية المثالية المعاصرة السائدة في ما يسمى بالأكاديميا.

إن المقال الذي كتبه تيميريازيف حول النظرية النسبية لآينشتاين (المنشور في "تحت راية الماركسية"، العدد 1–2) يجعلنا نأمل بأن هذه المجلة ستنجح في تحقيق هذا التحالف الثاني كذلك. علينا أن نعطي هذه القضية اهتماماً عظيماً. علينا ألا ننسى بأن التغيرات الكبرى الحاصلة في العلم الطبيعي الحديث دائماً ما تعطي فرصة لمختلف المذاهب الفلسفية الرجعية الفرصة للصعود، ومعها مذاهبها الفرعية، والموضات الفكرية هنا وهناك. وإذا لم نتابع القضايا التي تطرحها الثورة الحديثة في علم الطبيعة، وإذا لم يشارك علماء الطبيعة في العمل الجمعي في المجلة الفلسفية، لا يُمكن للمادية المناضلة أن تكون مادية ولا مناضلة. لاحظ تيميريازيف في العدد الأول للمجلة بأن نظرية آنيشتاين، التي حسب تيميريازيف لا تمثل تضاداً صريحاً بالنسبة لأسس الفكر المادي، استحوذت من قِبل عدد كبير من المثقفين البورجوازيين في كل البلدان؛ ونضيف بأن هذا لا ينطبق على آينشتاين وحسب، بل على عدد عظيم – وهذا إذا لم يكن أغلب – المصلحين الكبار في مجال علم الطبيعة منذ نهاية القرن التاسع عشر.

ولكي نكون واعين سياسياً تجاه هذه الظواهر، علينا أن ندرك بأن علم الطبيعة، ومعها المادية، لا يمكن أن تكون ثابتة في نضالها ضد هجمة الأفكار البورجوازية وهيمنتها ما لم تكن قائمة على أسس فلسفية صلبة. وشرط هذا هو على العالم الطبيعي المعاصر أن يتبنى الفلسفة المادية المعاصرة، ايّ المادية الديالكتيكية، وبالتالي يكون مدافعاً عن المادية التي فسرها ماركس. ولتحقيق ذلك سيكون على مجلة (تحت راية الماركسية) أن تدرس بشكل منظم الديالكتيك الهيغلي من منظور مادي، أيّ الديالكتيك كما طبقه ماركس عملياً في كتابه (رأس المال) وفي مؤلفاته التاريخية والسياسية، وهو تطبيق ناجح للغاية لدرجة أن نهضة الشعوب والطبقات الشرقية في صراعاتها (اليابان، الهند، الصين) تثبت صحة الماركسية من جديد.

بلا شك فإن دراسة، ونشر، وتفسير الديالكتيك الهيغلي مهمة صعبة؛ والخطوات الأولى لهذه العملية ستكون ممتلئة بالأخطاء. لكن من لا يعمل لا يخطىء ابداً. إذا انطلقنا من منهج ماركس في التطبيق المادي للديالكتيك الهيغلي، سيتوجب علينا – وسنتمكن من – تفسير هذا الديالكتيك من كل الجوانب، فننشر مقتطفات من أعمال هيغل الرئيسية ونفسرها مادياً عبر أمثلة لتطبيقات ماركس العملية، بالإضافة إلى أمثلة للديالكتيك في حقل العلاقات السياسية والاقتصادية؛ خصوصاً بأن عالمنا المعاصر يمتلك وفرة من هكذا أمثلة (الحروب الامبريالية، الثورات، إلخ).

برأيي، على محرري مجلة (تحت راية الماركسية) أن يعدّوا أنفسهم شيئاً أشبه «بجمعية الأصدقاء الماديين للديالكتيك الهيغلي». سيجد علماء الطبيعة المعاصرين في التفسير المادي للديالكتيك الهيغلي (ما إذا تعلموا كيف أن يبحثوا، وما إذا ساعدناهم في هذا البحث) سلسلة من الأجوبة على مختلف القضايا الفلسفية التي تطرحها الثورات الحاصلة في علم الطبيعة؛ تلك الثورات التي تجعل من المثقفين المنبهرين بالتحذلق والتقليعات البورجوازية الارتداد نحو الرجعية.

التقدمي

التقدمي العدد 162 ـ مايو 2021 السنة التاسعة عشر SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

قل لها يا رمل.. لعبة الغميضة ضاقت على قلب الصبية

بتول حميد

قلْ لها يا رمل
لعبة الغميضة ضاقت على قلب الصبية..
أتهرم الروح في لحد الذكريات
وتقول نازفة: ما فات فات؟
...
الحزينات اللاتي يتجنبنَ الكحل
حتى لا تُفسده الدموع
لا يفوتُهن تمرير بعضه في الحمامات العامة
يغسلْن به فناجين الكلام..
يصمتْن وفي أعيُنِهن حناجر مجروحة
يحفُرنَ في صدورهن ثُقبين
واحد للغدر
وواحد للفقْد..
الحزينات اللاتي أيديهن على قلوبِهن دائماً
لا يملكن معاطف دافئة في عزِ الصقيع
يُلبسن الليل قفطانه الأسود الطويل
ويُعلنَ الحدادَ على موت النهار
يعيدُهن للحياة عناق واحد من الخلف!
...
أشتهي أن أبكي لأن ذلك يروق لي
ليس لأنني امرأة حزينة
أو وردة تتحيّن الذبول..
أنا دمعة صامتة تقلب وسادتها إلى الجانب الآخر
...

ماذا تريدُ أيها الحزن؟
نمدد أرواحنا على بساط الأمل
فتنفخُ في ريح الوهمِ ونسقط.. ؟
هذا يحدث غالبا..
نقطف نجوم الدهشة ولا تنطفئ؟
هذا لا يحدث دائماً..
ننساكَ والفقدُ يسلُخُ أرواحنا..؟
هذا لا يحدُثُ أبداً..
خُذْنا على قدرِ صدورِنا ولا تبالغ
لا تدُسُ سكينَ غدرِك بغتةً
تكفينا منك رتابة الاعتياد..
...
كلُ شيءٍ يخُصُك
يتوهجُ في ذاكرتي
يلمع في عينيّ
كبيتٍ مظلم يرقُبه غريب
ويتأكدُ من نافذتيه العلويتين
بأنه مضاءٌ بشمعة واحدة!
...
لماذا نُعطر ياقة الحلم..
والواقع ينحرُ عنق الحياة؟

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com